الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر

معهد العلوم السياسية و العلاقات الدولية
فرع التنظيمات السياسية و الادارية

عنوان المذكرة

حزب جبهة التحرير الوطني

دراسة سياسية تاريخية اجتماعية مقارنة
1964 - 1954

مذكرة ماجستير مقدمة لقسم التنظيمات
بمعهد العلوم السياسية ، جامعة الجزائر
لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالبة

فاطمة بودرهم

تحت إشراف

الدكتور حسين بوقارة

1994



الإهـــــداء

يسعدني ان اهدي هذا المجهود العلمي المتواضع الى:

* روح والدي الكريم الذي اكرمني و علمني.

* الى والدتي العزيزة اتمنى لها الشفاء العاجل.

* الى كل اخوتي.

* الى كل من ساعدني.

* الى كل غيور عن وطنه و دينه.

فاطمـــة

كلمة شكر وتقدير

يشرفني ويسرني أن أشكر أستاذي الكريم الدكتور حسين بوقارة الذي وجهني الوجهة الصحيحة في إنجاز هذه المذكرة وأعبر له عن تقديري الكبير لشخصه الكريم وتواضعه مع كل الطلبة خدمة للعلم والبحث العلمي. وفقه الله في كل ما يصبو إليه وجعله لنا خير مثال نقتدي به مستقبلا.

خطـــة البحـــث

المقدمة

الفصل الاول: الحركة الوطنية قبل عام 1954

المبحث الاول: مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى

المبحث الثاني: مرحلة تكوين الاحزاب السياسية

. مظاهر الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى

المبحث الثالث: تطور الحركة الوطنية فيما بين الحربين العالميتين

المبحث الرابع: فشل المقاومات الشعبية و الاحزاب الوطنية

الفصل الثاني: ظهور جبهة التحرير الوطني

المبحث الاول: العوامل المساعدة على ظهور الجبهة

المبحث الثاني: القاعدة الايديولوجية للجبهة

المبحث الثالث: التفاعلات الإجتماعية داخل الجبهة

المبحث الرابع: موقف أحزاب الحركة الوطنية من الثورة

الفصل الثالث: وسائل عمل جبهة التحرير الوطني

المبحث الأول: الأسباب العامة والمباشرة لثورة نوفمبر 1954

المبحث الثاني: وسائل الكفاح على المستوى الداخلي

المبحث الثالث: وسائل الكفاح على المستوى الخارجي

الفصل الرابع: الصراع حول السلطة و علاقته بتطور جبهة التحرير الوطني

المبحث الاول: الجذور الاولى لازمة صيف 1962

المبحث الثاني: الاسباب المباشرة لازمة صيف 1962 و موقف الجبهة منها

المبحث الثالث: محاولة تحويل الجبهة إلى حزب سياسي

المبحث الرابع: مؤتمر عام 1964 و انعكاساته على تطور الجبهة

الخـــاتمة

المراجـــع

مقـــــدمــــة

تمارس النظم السياسية نشاطاتها العامة وفق ما تمليه معتقداتها. فهي تعمل بالافكار و النظريات التي تؤمن بها و تتبناها لتحقيق رفاهية المجتمعات التي تحكمها . و تحاول من خلال تلبية حاجيات افرادها المتعددة تحقيق استقرارها السياسي و ضمان استمرارها. و الممارسة السياسية ليست متجانسة لكل النظم السياسية و انما تختلف باختلاف الايديولوجيات التي تنطلق منها في ممارستها لنشاطاتها العامة خدمة للمجتمع المدني و تحقيقا للاهداف التي تسطرها في برامجها التنموية. فالمنطلقات الايديولوجية والامكانيات المادية و البشرية لاية امة او دولة هي التي تحدد للنظام السياسي الاستراتيجية التي يتبعها لتحقيق اهداف مختلفة. و عليه فان الاهداف التي ترغب الانظمة الاشتراكية الوصول اليها تختلف عن اهداف الأنظمة الليبيرالية. فاذا كانت الاولى تسعى لتحقيق عدالة اجتماعية بفضل توزيع عادل و متكافئ للثروات الوطنية على مجموع السكان فان الثانية تهتم بتنمية الفرد على حساب الجماعة و تخدم مصالح طبقة دون اخرى. و اذا كانت الاولى تحارب الصراع الطبقي و تحاول خلق مجتمع متساو لا طبقي فان الثانية تشجعه و تدعم الطبقة المتفوقة ماديا.

بعض الساسة المحللين يرون ان المصالح الوطنية هي التي تتحكم في التغييرات السياسية (1) وذلك ان اختلاف البيئات ينتج عنه اختلاف في المشاكل التي يواجهها كل نظام سياسي و هذا يعني ان كل دولة تسعى للبحث عن النظريات التي تمكنها من مواجهة الصعاب التي تعترض سبيل تقدمها و تهدد كيانها.

كما ان الانظمة السياسية تتكيف مع التغيرات التي تطرأ على العلاقات الدولية لكي تكون في مستوى الاحداث و المسؤوليات الملقاة على عاتقها. و قد انعكس هذا الصراع الجدلي بين النظام التعددي الليبيرالي و النظام الشمولي الاشتراكي على دول العالم الثالث المستقلة أو التي كانت تكافح من أجل استقلالها وذلك في اختيار الاستراتيجية الامثل و الانجع لبلوغ اهداف التنمية الشاملة في هذه الدول. و قد لعبت مجموعة من المعطيات منها ما هو مرتبط بالبيئة الداخلية ومنها ما هو مرتبط بالبيئة الخارجية دورا هاما في تحديد الاختيار الحاسم لهذه الدول. واذا سلمنا بأن الأنظمة الشمولية القائمة على نظام الحزب الواحد هدفها تحقيق رفاهية كل المواطنين فان طرق تحديدها للأهداف المبتغاة ووسائل تحقيقها ليست متماثلة لكل هذه الأحزاب وانما لكل حزب خصوصياته التي توجهه في تسطير برامجه السياسية، الاقتصادية و الاجتماعية . و ما يصدق قوله على هذه الانظمة يصدق على الممارسة العامة للنظام السياسي الجزائري.

---

(1) الدكتور عمار بوحوش "تطور النظريات و الانظمة السياسية" الشركة الوطنية للنشر و التوزيع -الجزائر- 1977 الصفحة -24-

فالجزائر باعتبارها من مجموعة الانظمة ذات الحزب الواحد لا تنطلق في تحديد برامجها السياسيه الاقتصادية و الاجتماعية وفقا للطرق التي تسلكها هذه المجموعة و انما اعتبارا لمعطياتها الوطنية الفعلية اي انطلاقا من واقعها العملي. فاذا كان الحزب الواحد في الجزائر ينطلق من المبدا الاشتراكي القائم على اساس اقامة مجتمع ديمقراطي تسود فيه العدالة الاجتماعية و التوزيع المتكافئ للثروة، فانه يختلف عن بقية الاحزاب الاشتراكية في العالم و ذلك في مجالات متعددة . هذا الاختلاف نابع اساسا من الظروف و المعطيات المميزة للجزائر كدولة عربية اسلامية تنتمي الى مجموعة دول العالم الثالث التي سلكت في اكثر من الحالات بعد استقلالها نظام الحزب الواحد بغض النظر عن الاتجاهات السياسية لهذا الحزب. و هذا الاختيار فرضته الظروف السياسية، الاقتصادية و الاجتماعية لهذه الدول و التي لا تسمح في معظم هذه البلدان بالدخول في نظام التعدد الحزبي.

ان نظام الحزب الواحد في العالم الثالث يطرح عدة اشكاليات منها ماهي الظروف التي نشأت فيها هذه الاحزاب؟ و هل هي نابعة من الارادة الشعبية ام هي نتيجة اختيار فوقي نخبوي ؟ و كيف تم تنظيم هذه الاحزاب؟و ماهي علاقتها بالممارسات الفعلية للسلطة؟ و هذه الاشكاليات هي من بين المسائل التي يتوخى هذا البحث الكشف عنها، عن طريق دراسة سياسية، تاريخية و اجتماعية مقارنة لحزب جبهة التحرير الوطني خلال الثورة و بعدها.

ان الوقوف على حقيقة هذا النظام السياسي للجزائر المستقلة هو الدافع الاساسي لتناول هذا الموضوع بالبحث و الدراسة. فالمعالجات السابقة كانت تقليدية تناولت حزب جبهة التحرير الوطني تاريخيا اي ربط الاحداث المحيطة بتكوينه مكانيا و زمانيا دون مس الجوانب الخفية له كطرق عمله ومدى وصوله للحكم؟ و ماهي المصالح التي كانت تعرقل سيره الديمقراطي؟ و هل كان حزبا نخبويا او طبقيا ام كان حزبا وطنيا جماهيريا يمثل كل الشرائح الجزائرية محافظا على الوحدة الوطنية و متجاوزا بذلك كل صراع طبقي؟

ان معالجة هذه الاشكالية تفرض العودة الى الدراسة الميدانية و تجنب الدراسات النظرية و التحاليل التاريخية لجبهة التحرير الوطني . فالدراسات التقليدية حول جبهة التحرير الوطني كحركة سياسية قادت الثورة الجزائرية من 1954 الى 1962 ثم كحزب سياسي لغاية عودة التعددية الحزبية للميدان السياسي بفضل دستور 1989 بعد احداث الخامس من اكتوبر من عام 1988، كانت تجريدية نظرية بعيدة عن معاينة واقع هذا التنظيم السياسية، لا من حيث ممارسته السياسية و لا من حيث علاقاته بالدولة كاطار عام تتحقق فيه مصالح المجتمع و يتم فيه تنظيم علاقات افراده ، و لا من حيث علاقاته بالمنظمات الجماهيرية كروافد تابعة للحزب تنشر سياسته و تبلغ تعليماته و قراراته و مشاريعه للمواطنين والمناضلين على وجه الخصوص.

و لدراسة هذه الجوانب و فهم هذه الاشكالية اعتمدنا على طريقة تحليل علمية التي تستوجب الرجوع الى الظاهرة المراد تحليلها و تشخيص اسباب وجودها، واقعها و الحكم عليها بالفشل او النجاح اعتمادا على معطيات و حقائق ثابتة. بما ان الظاهرة الحزبية ظاهرة انسانية لا تخضع للتجريب العلمي فاننا حاولنا معالجة الموضوع بروح موضوعية بعيدة عن التعاطف السياسي او الايديولوجي. هذا الامر يدعونا لتحليل الجذور التاريخية و الاجتماعية لجبهة التحرير الوطني و عملها اثناء الكفاح المسلح و في فترة الاستقلال. و بما ان الدراسة المراد تحقيقها حول حزب جبهة التحرير الوطني هي دراسة تاريخية، سياسية و اجتماعية مقارنة فهذا يدعو لاستخدام المنهج المقارن و منهج تحليل المضمون ، بحيث الاول يعتمد على دراسة كل ظاهرة على حدى ثم اجراء المقارنة بينها و القائمة على تحديد اوجه الشبه و الاختلاف . و الغاية من توظيف هذا المنهج دراسة حزب جبهة التحرير الوطني من ناحية النصوص الرسمية المرتبطة بنشأته و تنظيمه ثم من ناحية الممارسة العملية لهذا الحزب ، وهل اتسمت بالاستمرارية ام كانت متغيرة خاضعة في ذلك للمستجدات التي طبعت كل مرحلة؟ و ماهي اوجه التشابه و التباين بينها ثم تقييم كل مرحلة. اما الثاني فيعتمد على تحليل النصوص و الوثائق الرسمية. أما بالنسبة للمراجع المستعملة في هذه الدراسة فقد حاولنا الاعتماد قدر الامكان على مراجع اخرى متعددة و متنوعة و ذلك للالمام بكل وجهات النظر الخاصة بالموضوع.

و قد قسمنا هذا الموضوع الى اربعة فصول ، تناولنا في الفصل الاول ، الحركة الوطنية قبل سنة 1954 و عالجناها من خلال المباحث التالية: مرحلة ماقبل الحرب العالمية الاولى و مرحلة تكوين الاحزاب السياسية متطرقين الى الظروف التي نشأت فيها و تنظيمها و تطوراتها ما بين الحربين و قاعدتها الايديولوجية و اخيرا تقييم الحركة الوطنية في هذه الفترة و ماقبلها كاسباب فشل المقاومات الشعبية والاحزاب التي تكونت بعد الحرب العالمية الاولى.

اما الفصل الثاني فتناول ظهور جبهة التحرير الوطني كحركة سياسية قادت النضال حتى الاستقلال و تحولت الى حزب سياسي بعد ذلك. و من خلال هذا الفصل الثاني عالجنا العوامل المساعدة على ظهور الجبهة و المنطلق الايديولوجي للجبهة ثم تنظيمها و اهم التفاعلات الاجتماعية التي نشطت في اطارها و اخيرا استراتيجيتها السياسية و العسكرية خلال الثورة.

اما الفصل الثالث فقد عالج و سائل كفاح الجبهة على المستويين الداخلي و الخارجي من خلال المباحث التالية: الاسباب العامة و المباشرة لثورة نوفمبر 1954 و هذا المبحث له اهميته الخاصة لكونه يرتبط ارتباطا وثيقا بسبب استخدام وسائل داخلية و اخرى خارجية لانجاح الثورة و اقامة دولة وطنية ثم تطورات الثورة الجزائرية على الساحتين الداخلية و الخارجية لتوضيح مدى تاثيرها على الرأي العام المحلي و الدولي و اخيرا موقف الاستعمار من الثورة التحريرية و مواقف تشكيلات الحركة الوطنية.

و اخيرا الفصل الرابع و الاخير و الذي تضمن معالجة الصراع حول السلطة و علاقته بتطور الجبهة و اهم الازمات الوطنية التي عاشتها الجبهة بعد الاستقلال و موقفها منها الى جانب تناول محاولة تحويل الجبهة الى حزب سياسي و تحليل مؤتمر الجبهة الاول بعد الاستقلال و الذي انعقد سنة 1964 وانعكاساته على عملية التحويل هذه و اخيرا موقف الجبهة كحزب من " التصحيح الثوري" لعام 1965 الذي اطاح بنظام "احمد بن بلة" و لجلس العقيد "هواري بومدين" مكانه.

و اخيرا استخلاص اهم الاستنتاجات لهذا البحث المتواضع على شكل خاتمة للموضوع.

الفصل الاول

الحركة الوطنية قبل عام 1954

الفصل الاول
الحركة الوطنية قبل عام 1954

مع فشل ثورة الباشاغا 'محمد المقراني' بمجانة عام 1871 و ثورة الشيخ 'بوعمامة' عام 1881 كمقاومات شعبية اكثر قوة و تنظيما استنفذت الارياف الجزائرية كل طاقاتها المادية و البشرية للتعبير عن رفضها القاطع للوجود الاجنبي بالوطن. انتقل مركز نمو الوعي الوطني إلى الاوساط الحضرية و بدأت بوادر هذا الوعي تظهر بصورة جنينية ضعيفة في المدن في شكل جمعيات و نوادي ثقافية الى ان تطورت الى حركات سياسية مطلبية تزعمتها بعض الشخصيات المثقفة منها ذات الثقافة العربية الاسلامية المحضة و منها ذات الثقافة و المعرفة الغربية. و قد تم ذلك بمساعدة عوامل داخلية و اخرى خارجية. 'و هذا ما عبر عنه 'محمد تيقيا' في تحليله للوطنية كالاتي : ' يبدو ان المدن نما بها الوعي و ستخلف القرى. فقد ظهرت ظروفا جديدة و نضجت بعد فترة قرن من الاحتلال، و هكذا بدأ يظهر نوع جديد او انواع جديدة من التنظيم السياسي الحديث بدأ جنينيا ضعيفا ثم تطور بمرور الزمن' (1) معنى ذلك بدأت تظهر ما يسمى في الاصطلاح السياسي 'بالحركة الوطنية ' و التي هي التعبير السياسي لمجموعة تعي وحدتها الاجتماعية في الظرف الذي تكون ترزح فيه تحت سيطرة الاجنبي و هو مايؤكده الاستاذ 'هواري عدي' في تحليله لانسداد الطريق الشعبوي كالاتي: ' ان الحركة الوطنية هي التعبير السياسي لمجموعة تعي وحدتها الاجتماعية و هي في حالة سيطرة فتطالب باستقلالها لتاكيد وجودها كمجموعة سياسية و هي تظهر على اثر ظهور الوعي الوطني و على اثر ظهور ارادة بناء مجتمع سياسي مستقل. ان الحركة الوطنية تعني المجتمع السياسي الذي يتعلق بالامة' (2).

---

(1) Mohamed TEGUIA 'L'Algerie en Guere' Office des Publications Universitaires -Alger- 1988 Page 23.

(2) HOUARI ADDI 'L'impase du populisme' L'Algerie collectivite politique et Etat en Construction (Entreprise Nationale du Livre - ALGER- 1990 Page -21-

يدعم الراي القائل باسبقية ظهور الوعي الوطني بالريف عن المدينة الكاتب 'مصطفى الأشرف' حيث قدم اسباب تاخرها في المدينة عن الريف كالاتي: 'فبالنسبة للقومية في المدن فان سكان المدن كانوا قليلي العدد بالنسبة لسكان البوادي و قد تعرضوا للنفي و التشريد لذلك فان القومية لم تظهر في المدن الا بعد مضي خمسين سنة (50) سنة و قد نشأت هذه القومية على شكل فكرة غامضة آمن بها فريق من السكان عاشوا على هامش المدينة دون ان يندمجوا و كان الفكر الايديولوجي عندهم ضعيفا' (3) ثم يضيف ان هذه القومية التي نشأت في المدن أول ما ظهرت بين الفلاحين الجزائريين المغتربين في فرنسا. ' صحيح ان الامير 'خالد' عمل على ايقاظ الوعي الجزائري في المهجر لكن حركته عام 1921 لم تتلق لدى المثقفين و سكان المدن و اعيان البوادي اي صدى و لم تؤثر في الطبقات الشعبية التي كانت ترزح تحت تعسف القوانين الاهلية' (4).

فالعمال الجزائريون المغتربون بفرنسا و الذين اغلبهم من البادية كانت لهم حرية التحرك.فقد ساعدتهم الحياة الديمقراطية السائدة في الدول الغربية خاصة فرنسا على الاحتكاك بالنقابات و الانفتاح على مايجري من تطورات في جميع الميادين خاصة السياسية الى جانب انتشار الافكار المعادية للسيطرة و الامبريالية بعد انتصار الثورة الاشتراكية بروسيا و انتشار الافكار الاصلاحية في العالم الاسلامي و العربي خاصة في بلدان المشرق العربي البعيدة عن القوانين الاهلية مكنهم من لعب هذا الدور الهام في ايقاظ الوعي القومي و تغيير اسلوب المقاومة.

(3) مصطفى الاشرف " الجزائر الامة و المجتمع" ترجمة الدكتور حنفي بن عيسى المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر- 1983- الصفحة -78-

(4) نفس المرجع و نفس الصفحة.

المبحث الاول

مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى

سمح الضغط الامبريالي المسلط على مجموع المواطنين في الجزائر، فترجمت بعض الجماعات المثقفة هذا الوعي الوطني الذي بدأ ينمو في شكل تنظيمات سياسية متعددة ذات طابع اصلاحي نادت بتغيير اساليب القهر و اللامساواة التي تعاملت بها الادارة الاستعمارية مع اهل البلد، فطالبت بادخال مجموعة من الاصلاحات الاجتماعية الاقتصادية و لم تجرؤ على المطالبة باستقلال الجزائر خوفا من تعسفات القوانين الاستثنائية و قانون الاهالي. بينما الحركة النقابية المطلبية التي نشأت وسط باريس تمكنت من الاعلان عن هدفها الاساسي – تحقيق الاستقلال – و الجلاء الكامل لقوات الاحتلال من الجزائر نظرا لتوفر هامش من الحرية في ظل القوانين الديمقراطية الغربية، و قد تجلت مظاهر هذه الحركة الوطنية في تكوين هذه التنظيمات السياسية.

لا يمكن فهم الظواهر مهما كانت طبيعتها دون العودة الى دراسة اسبابها الاولى و تفاعلاتها المتشابكة المترابطة . و هنا تصبح دراسة الجذور الاولى للحركة الوطنية الجزائرية امرا ضروريا و مساعدا على تحليل هذه الظاهرة.

على خلاف المؤرخين الذين تناولوا بالبحث موضوع احتلال الجزائر و المقاومة الشعبية التي تصدت له سواء في شكلها العنيف الثوري او في شكلها السياسي السلمي اشار السيد 'عبد الحميد مهري' الامين العام لحزب جبهة التحرير الوطني ، ان اول حزب سياسي وطني نظمه الجزائريون بزعامة 'حمدان خوجة' هو :

أ– لجنة المغاربة: (5) تشكل هذا الحزب مباشرة بعد ان امضت حكومة 'الداي حسين' اتفاق الخامس جويلية من عام 1830 مع القائد الفرنسي الكونت 'دو بورمون' و هذا الحزب مكون من الاعيان و البرجوازيين، رفع مطالب الجلاء للجيش الفرنسي و تعيين لجنة تحقق في المظالم التي لحقت بالجزائريين و انتهى هذا الحزب بطرد زعيمه 'حمدان خوجة' الذي الف كتابه 'المسرآة' ضمنه اتهامات مباشرة ضد الفرنسيين في الجزائر.

---

(4) عبد الحميد مهري ' كيف تحررت الجزائر' وزارة الاعلام و الثقافة –الجزائر–1979 الصفحة –49–

ب- كتلة المحافظين: (6) تشكلت حوالي عام 1900 و هي تشمل المثقفين التقليديين و المحاربين القدامى و الزعماء الدينيين و بعض الاقطاعيين و المرابطيين و كان من بينهم بعض المعلمين و الصحفيين . كانوا يؤمنون بالقومية الاسلامية و نادوا بالمبادئ التالية:

– المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين و المعمريين.

– معارضة التجنس، الغاء قانون الاهالي و حرية التعليم بالعربية و حرية الهجرة الى فرنسا.

بتعبير بسيط كان اسلوبهم اصلاحيا لم يتطرق للمسألة الوطنية.

ج- جماعة النخبة: (7) الكثير من الكتاب و المؤرخين يعتبرون جماعة النخبة اول تعبير عن المطالب السياسية فقد تشكلت هذه الجماعة حوالي سنة 1907 و تكونت من الذين جمعوا بين الثقافة العربية و الفرنسية كالمترجمين و المحامين و الاطباء و المعلمين و الصيادلة و القضاة و الصحافيين و بعض التجار و العمال الزراعيين و الطلبة. تضمنت برامجهم بعض المطالب الاصلاحية كالغاء قانون الجنسية المعروف بـ 'سناتوس كونسولت' Sénatus Consult لعام 1865، شكلوا على غرار حزب تركيا الفتاة حزب 'الجزائر الفتاة'.كانوا يريدون الاستفادة من الحضارة الغربية خاصة الفرنسية و المتعلقة بمبادئ ثورتها 'المساواة الاخوة و الحريـة ' و ربطها بالاسلام كعقيدة مادامت هذه الافكار و المبادئ الاساسية التي نادت بها الطبقة البرجوازية الفرنسية ضد الكنيسة و الاقطاع لا تتعارض و الدين الاسلامي بل يدعمها . كانت غايتهم في ذلك كسب المواطنة أي تحقيق هدفين اساسيين: كسب المواطنة الفرنسية و الحفاظ على المقومات الاساسية للشخصية الجزائرية و تمكينهم من تطوير حركتهم و الدفاع عن مصالحهم بصورة تدريجية.

فاذا كان السيد 'عبد الحميد مهري' قد حصر هذه المجموعة في الفئة المثقفة التي جمعت بين الثقافة الغربية و الثقافة العربية الاسلامية فان الكاتب 'محفوظ قداش' يحصرها في الجماعة المثقفة بالفرنسية و التي تنتمي في غالبيتها للاسر الميسورة او متوسطة الدخل و من اواسط المهن الحرة (اطباء صيادلة و محامون) (8) و هذا امر لم يختلفا فيه ، و افقر عناصر هذه المجموعة هم المعلمون و كان يؤيدهم اعيان المدن و الملاك الريفيون الذين لم تكن الادارة الاستعمارية قد اضطهدتهم بعد. و يتفقان حول مطالبها الاصلاحية.

(6) عبد الحميد مهري مرجع سابق الصفحة -50-.

(7) عبد الحميد مهري نفس المرجع و نفس الصفحة.

(8) الجيلالي صاري و محفوظ قداش 'المقاومه السياسيه 1900-1954' ترجمه عبد القادر بن حرات المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- 1987 الصفحة -16-

ما يمكن استنتاجه هو ان حزب 'الجزائر الفتاة' كتلة متجانسة فكريا، اجتماعيا و ماديا و هي حزب نخبوي بحيث لم تضم كل شرائح المجتمع بل اقتصرت على عناصر معينة . هذه الجماعة كانت تعارضها جماعة اخرى عرفت باسم 'جماعة الحق '(9) فهذه الاخيرة كانت تتطلع لاحياء التراث الاسلامي و لم تكن تهتم بالمسألة الوطنية بقدر ما كانت تهتم بالحفاظ على ملكياتها الصغيرة، و كان التناقض بينهما لاختلاف مصالحهم و تكوينهم الثقافي.

د- <u>حركة الشبان الجزائريين:</u> ظهرت هذه الحركة في القرن العشرين (20) و لم يكن الشبان الجزائريون منتظمين في حزب سياسي في البداية، و كانت هذه الحركة تعتمد على قاعدة اجتماعية تميزت بالنشاط و الحيوية و بثقافة فرنسية و تنتمي اغلبيتها للفئة الاجتماعية المتوسطة بحيث انشأت هذه الحركة في بداية نشاطها نوادي و جمعيات ثقافية قبيل الحرب العالمية الاولى كجمعية الرشيدية و نادي صالح باي و غيرها. تضمنت مطالبهم الاصلاحية حق المشاركة في الانتخاب و المساواة و غيرها. يضيف 'فرحات عباس' ان هذه الحركة طالبت بتطبيق التعليم العام و اجباريته و حرية الصحافة و التجمع و تطبيق القوانين الاجتماعية و العمالية لفائدة المسلمين (10) استمرت حركة الشبان لغاية انتهاء الحرب العالمية الاولى حيث فشل زعيم هذه الحركة في تحقيق مطالبه. اذا كانت الدراسات السابقة تعتبر هذه الحركة حركة اصلاحية كبقية الاحزاب الاخرى و لم تأت بالجديد فان 'محمد تيقيا ' يرى فيها حركة تحديثية (11) لانها جددت المطالب الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية للنخبة على طريقة الشبان الاتراك و الشبان التونسيين الذين تأثروا بالحضارة و التقدم الحاصلين في الغرب و نادوا بادخال تحسينات على مجتمعاتهم.

(9) مغنية، الازرق ، '<u>نشوء الطبقات في الجزائر</u>' دراسة في الاستعمار و التغيير الاجتماعي السياسي ترجمة سمير كرم مؤسسة الابحاث العربية -1980- الصفحة -71-

(10) فرحات عباس، '<u>ليل الاستعمار</u>' ترجمة ابو بكر رحال، مطبعة المغرب دون تاريخ صفحة 138/139

(11) Mohamed TEGUIA Opcit, Pages -23/24-

المبحث الثاني

مرحلة تكوين الاحزاب السياسية
مظاهر الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى

اثرت الحرب العالمية الاولى على المجموعة الجزائرية مما ادت الى يقظة الوعي الوطني و ترقية مستوى الجزائريين السياسي. و قد ساعد عاملان على استعادة الشعب الجزائري ثقته بنفسه و هما:

- عامل ذاتي: عندما طلبت فرنسا مساعدة الشعب الجزائري في حربها ضد الالمان و قدمت الوعود بتحسين اوضاع الجزائريين بعد انهاء الحرب و الانتصار على المانيا.

- اما العامل الثاني: و هو عامل خارجي تمثل في تطبيق حق تقرير المصير للشعوب اضافة الى الحركات القومية و الافكار التجديدية التي صاحبت النهضة العربية في المشرق العربي و ما يجري من تغييرات في العالم الخارجي كانتصار الثورة الشيوعية في روسيا و تأسيس عصبة الامم.

انقسمت النخبة بعد الحرب العالمية الاولى بسبب الاختلاف حول اصلاحات قانون 1919 بحيث تنازع اتجاهان داخلها ، واحد بزعامة "ابن التهامي" الذي قبل التجنس مع التخلي عن الاحوال الشخصية بينما رفض الاتجاه الثاني بزعامة "الامير خالد" ربط التجنس بالتخلي عن الاحوال الشخصية الاسلامية لذلك تخلى "الامير خالد" عن هذه الحركة و اسس تنظيما آخر عرف بحزب "الاخاء الجزائري".

- حزب الاخاء الجزائري: (13) اسس "الامير خالد" هذا الحزب بتاريخ جانفي 1922 و كان يريده حزبا يضم مناضلين منسجمين فكريا و يطالبون بنفس المطالب الاجتماعية و المادية و الاقتصادية والسياسية للشعب الجزائري.

- الفيديرالية الشيوعية الجزائرية:

انشئت هذه الفيديرالية عام 1924 في الوقت الذي كان يدور فيه صراع بين الشيوعيين و بين الحكومة الفرنسية بسبب تأييد الحزب الشيوعي لثورة "عبد الكريم الخطابي" في الريف المغربي، يرى كل من "كلود كلو" و "جان روبير هنري" ان الشيوعيين الجزائريين تطوروا تطورا ظاهرا فيما يتعلق بالنظرة الاستقلالية للجزائر.

---

(12) احمد الخطيب "حزب الشعب الجزائري" الجزء الاول. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1986 الصفحة - 53-

(13) نفس المرجع الصفحة - 78-

فقد رفضوا في السابق و خاصة فرعهم في مدينة 'بلعباس' نداء العالمية الثالثة القاضي بالعمل على اخراج المستعمرين من المستعمرات . و ادّعى الشيوعيون ان الوسيلة الفضلى لمساندة الحركات الاستقلالية لن تكون بالتخلي عن المستعمرة بل بالعمل من اجل الحزب الشيوعي وبمضاعفة الدعوة للاشراك في العمل النقابي و التعاون (14). حاولت الفيديرالية استقطاب العمال الجزائريين للانخراط في النقابة و الحزب الشيوعي عن طريق بث الوعي الطبقي فيهم و جعلهم يخوضون الكفاح ضد الاستعمار الى جانب الشيوعيين، لكنها لم تتوصل الى ذلك و لا حتى الحزب الشيوعي الفرنسي. آستمرت الفيديرالية الشيوعية الجزائرية كفرع للحزب الشيوعي الفرنسي الى ان انفصلت عنه رسميا و اتخذت لها اسم الحزب الشيوعي الجزائري بعد مؤتمر 'فيلليريان' عام 1935.

- فيديرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين:

سبق و ان اشرنا ان النخبة انشقت على نفسها و ظهر على اثر ذلك اتجاهان، مثل الاول 'الامير خالد' الذي شكل حزبا جديدا سبق ذكره و هو 'حزب الاخاء الجزائري' و مثل الاتجاه الثاني الدكتور 'ابن التهامي' الذي اقتنع بفكرة التجنس و اسس عام 1927،' فيديرالية النواب المسلمين الجزائريين. كانت مقصورة على المنتخبين الجزائريين فقط و لذلك ركزت على هدف توحيد و تنسيق جهود النواب الجزائريين في مختلف المجالس، و لذلك اعتبرها 'محمد تيقيا' تجمعا للمنتخبين المسلمين ذوي الاتجاه الاندماجي و ليس حزبا سياسيا (15)، لان لفظ الحزب اوسع و هو يضم شرائح و فئات متعددة الطبائع شرط ان يكون لها نفس الاهداف الايديولوجية، فهي بذلك تتبع سياسة نخبة و تطالب بحقوق و باندماج داخل الامة الفرنسية على مراحل . و قد نشأت اولا في ناحية قسنطينة اين نجد النسبة الغالبة للمنتخبين المسلمين ثم بالجزائر و وهران و كان يترأسها الدكتور 'ابن جلول' الى جانب الدكتور 'سعدان' و الصيدلي 'فرحات عباس'. تمسكت هذه الفيديرالية بجلب كل النواب المسلمين ذوي الثقافة الفرنسية و لم تطرح المسألة الوطنية. اذ بين ذلك الكاتب 'محفوظ قداش' بقوله: < ان التحضير للاحتفال المئوي و ابعاد خالد عن الساحة السياسية للجزائر العاصمة جعل منتخبي هذه الناحية اكثر حذرا، ان لم يكونوا اكثر فزعا، و قد حاولوا التملص من الحزبين الذين طرحا المسألة الوطنية و هما الحزب الوطني نجم شمال افريقيا والحزب الشيوعي> .(16)

(14) احمد الخطيب مرجع سابق الصفحة -82/81-

(15) Mohamed TEGUIA Opcit, Pages - 32 -

(16) محفوظ قداش مرجع سابق الصفحة - 143 -

كان المنتخبون عبارة عن برجوازيين (اطباء - محامون - و معلمون مكونون بالمدرسة الفرنسية). و على ضوء تجربتهم تبينوا عقم نشاطهم و تبين لهم التمييز العنصري الذي يعاملونهم به الاوربيون خلال الجمعيات مما ادى بهم لتقديم الاستقالة بصفة جماعية من فترتهم الانتخابية.

بعد فشل وفدهم الى باريس عام 1933 اتجهوا نحو الجماهير الشعبية و خاصة 'فرحات عباس' الذي تأكد من أهمية التعامل معها و جلبها لتكوين حزب سياسي ذي مصداقية و شرعية و هذا ماتوجه اليه عام 1944 حين شكل حزبه 'احباب البيان والحرية' الذي تخلي عن الافكار الاندماجية و طالب بالاستقلال لأول مرة دون لبس أو غموض.

المبحث الثالث
تطور الحركة الوطنية فيما بين الحربين العالميتين

اثرت السياسة الفلاحية الرأسمالية على الوضع الاقتصادي للفلاح الجزائري خاصة بعد ادخال نوع جديد من الزراعات عرفت بالزراعات" النقدية" الموجه انتاجها اساسا للتصدير نحو اوربا و نحو فرنسا على الخصوص . فهذه المنتوجات التجارية النقدية أثرت على الفلاحة المعيشية للفلاحين مما ادى الى تدهور احوالهم الاجتماعية و الصحية و دفعتهم للهجرة نحو المدن او باتجاه الخارج و انعكس ذلك سلبا على البنية الاجتماعية الجزائرية و الروابط الاسرية، فزالت بعض العادات في المجتمع القبلي.يؤكد ذلك كل من العميد "طلاس" و المقدم"بسام العسلي" في كتابهما حول "الثورة الجزائرية" اذ توصلا لتحليل انعكاسات الاحتلال على المجتمع الجزائري و التي تمثلت في "تراخي الروابط العائلية و القبلية من جراء هجرة سكان الريف الى المدينة و ابتعاد افراد القبائل عن قبائلهم ليصبحوا عملا في المدن و المراكز الكبيرة". (17) و حتى التوجيه الفرنسي استنزف اعدادا كبيرة من الجزائريين ماديا و معنويا عن طريق اغرائهم بالإدماج في مظاهر المدينة الصناعية و تحسين ظروف حياتهم. فالجزائريون الذين جاوروا الجالية الفرنسية المستوطنة اقنعتهم بالانخراط في الجيش الفرنسي و نقل عدد منهم الى المصانع الفرنسية بباريس لخدمة اغراض الحرب. ٤٧١٥٤٧

إضافة لهذه التحولات الاجتماعية المفروضة و التقلبات الاقتصادية داخل المجتمع الريفي الجزائري. فان فترة العشرينات عرفت صعوبات اقتصادية سببها الجفاف الحاد الذي اتى على كل المحاصيل الزراعية مما ادى الى انتشار المجاعة و تسارع معدل الهجرة نحو فرنسا. هذا الوضع الجديد المفروض على الجزائريين فرض بدوره تطورات جديدة على المعارضة السياسية الوطنية للاحتلال و اكتسبت طابعا جديدا و ظهرت في فرنسا مجموعة جديدة في أوساط العمال تدربت داخل التنظيمات النقابية الفرنسية و احتكت بها مما مكنها من تنظيم نفسها داخل حركة جديدة كانت عمالية مطلبية في البداية ثم تحولت الى حركة وطنية ثورية عرفت بجمعية" نجم شمال افريقيا".

- نجم شمال افريقيا:

لم تكن تاثيرات الحزب الشيوعي الفرنسي البارزة في حياة هذه الجمعية كفيلة لوحدها لظهورها لولا توفر او حضور الوعي الوطني لدى العمال الجزائريين. فهذه الارادة تبلورت و نضجت بفعل الاحتكاك اليومي بنقابات العمال الغربية و الاستفادة من تجاربهم النضالية في ظل نظرية الصراع الطبقي.

(17) العميد طلاس و المقدم بسام العسلي "الثورة الجزائرية" 1404 هـ 1984 م الصفحة -73-

فجمعية نجم شمال افريقيا ظهرت في البداية مطالبة بتحسين الاحوال المادية و الاجتماعية لكل عمال شمال افريقيا و لكنها انفصلت عن التيار الشيوعي لتصبح حركة سياسية استقلالية نادت باستقلال الجزائر و جلاء الاجانب منها. لقد حاولت الحركة الشيوعية بفرنسا احتواء هذه الارادة لصالحها الا انها اخفقت امام قوة الوعي الوطني الثوري لدى العمال الجزائريين المهاجريين الذين فضلوا الطريق الثوري لتحرير الجزائر. و قد جندت الجمعية المغتربين الجزائريين حول المطالب الاساسية كالاستقلال الكامل و تشكيل حكومة وطنية.

لم يمنع حل هذه الجمعية من الظهور في اشكال اخرى اهمها 'حزب الشعب الجزائري' سنة 1937. كان على درجة عالية من التنظيم و التأطير، فقد استطاع منذ وقت مبكر ان يخرج من قيود الوصاية والتزكية من طرف احزاب 'الميتروبول' خاصة الحزب الشيوعي الفرنسي الذي اعتبر في ذلك الوقت المطالب الوطنية مجرد نزعة انعزالية. كان من المفروض ان تدور في فلكه و تنتظر استلامه الحكم وانتصار البروليتاريا قبل النظر في اقاليم ما وراء البحار. فالحقوق المشروعة و الكفاح الوطني للجزائريين لم تكن من اولويات اهدافه و لا من بنود برنامجه السياسي، بل لم تكن واردة على الاطلاق. هذه الحركة الشيوعية ارادت رمي الكفاح الوطني في زاوية الصراع الطبقي.

كان النجم يستمد ايديولوجيته الوطنية من الافكار القومية التحريرية التي نادى بها زعيم القوميين العرب الامير 'شكيب ارسلان' و من الافكار الماركسية المدافعة عن الطبقة العاملة و المنادية بعودة السلطة للفئة البروليتارية.

تبنى النجم مطالب عاجلة و اخرى آنية، فالمطالب العاجلة كانت تحتوي مجموعة من الاصلاحات الاجتماعية و الاقتصادية، اما المطالب الانية فقد احتوت مطالب الاستقلال التام للجزائر و الجلاء الكلي لاحتلال الجزائر و تشكيل جيش وطني و اقامة حكومة وطنية ثورية و مجلس تاسيسي ينتخب بالاقتراع العام (*18*).

انتقد النجم المطالب الاصلاحية التي نادى بها المؤتمر الاسلامي ولام العلماء على التحاقهم بالفكرة الاندماجية. و قد حاربوا من قبل من اجل الحفاظ على الاحوال الشخصية للجزائريين و جاء هذا الانتقاد في الخطاب الذي القاه خلال شهر اوت 1936 منددا بالمعمرين و الاندماجيين اذ قال:

(*18*) احمد الخطيب مرجع سابق الصفحة -185-

< .. اننا نقول بصراحة و بصرامة اننا نستنكر الميثاق المطلبي فيما يخص ضم بلادنــــا الى فرنسا والتمثيل البرلماني و نحن نريد الغاء المندوبيات المالية و نريد انشاء برلمان جزائـري ينتخب بالتصويت العام دونما اي تمييز جنسي او ديني، و هذا البرلمان الوطني الجزائري سيعمل عند تنصيبه تحت المراقبة المباشرة للشعب و من الشعب (19)>. فاذا كانت الاحزاب الاصلاحية و الاندماجية من المنتخبين واعضاء المؤتمر الاسلامي قد نادت بتحقيق مطالب اجتماعية و اقتصادية و سياسية في الاطار الفرنسي عن طريق الاندماج و التجنس .فان حزب نجم شمال افريقيا رأى تحقيقها في اطار وطني مستقل و حر لان الاستقلال هو وحده الكفيل بتحقيق المساواة السياسية و تجسيد العدالة الاجتماعية. ان حكومة اليسار المتمثلة في الجبهة الشعبية التي صعدت لدفة الحكم عام 1936، علقت عليها الحركة الوطنية امالا كبيرة، لكن خاب ظنها بحيث استغلت فرصة الصراع القائم بين نجم شمال افريقيا و الشيوعيين و اعلنت يوم 26 جانفي 1937 عن حل النجم، لكن لم يتوقف عن نشاطاته بل تابعها تحت اسم جديد هو 'حزب الشعب الجزائري'.

- حزب الشعب الجزائري:

اسس 'مصالي الحاج' بتاريخ 11 مارس 1937 مع بعض رفاقه حزب الشعب الجزائري في مدينة نانتار Nanterre و انتقل نشاطه الى الجزائر خلال شهر جوان من نفس السنة و اعتقل زعيمه بتاريخ 27 اوت 1937 مع خمسة اعضاء هم: < مفدي زكريا - محمد مسطول - الحسين الأحول - ابراهيم عزافة - بن عمر خليفة> بتهمة التشويش و اعادة التنظيم المنحل و سجنوا بسجن باربروس بالجزائر العاصمة> (20) . ثم حلت الادارة الفرنسية هذا الحزب و منعت جرائده الثلاث: 'الشعب - الامة والبرلمان'. عمل حزب الشعب الجزائري في اطار الشرعية المزعومة حتى حله و اعادة تشكيله تحت اسم 'حركة انتصار الحريات الديمقراطية ' عام 1946. ساهم بمسعاه الجماهيري و اسلوبه التنظيمي في تعبئة المضطهدين من ابناء الشعب و ايقاظ الوعي الوطني و التجنيد حول مطلب الاستقلال و عنه خرجت النواة الاولى للكفاح المسلح التي وضعت حدا للصراعات الشخصية و التنافس حول الزعامة الشكلية للعمل السياسي.

(19) محفوظ قداش،مرجع سابق الصفحة -66/65-
(20) احمد الخطيب مرجع سابق الصفحة -132-

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

هم مجموعة من الشبان الجزائريين الذين تمكنوا من مواصلة الدراسة في جامعات العالم العربي كجامع الزيتونة و القرويين و الجامع الازهر و جامعة المدينة المنورة. و بعد عودتهم للجزائر اقاموا المدارس الحرة لتدريس اللغة العربية و القرآن و انشاء الصحف و الجرائد. وكانت صحفهم تتناول قضايا النهضة العربية التي شهدها المشرق العربي والتي تأخر ظهورها بالمغرب العربي بسبب الوضع الاحتلالي. كانت هذه النهضة العربية عبارة عن اصلاح ديني وبعث فكري ومطلب سياسي دعى الى وحدة العرب والوطنية .وقد تبنت هذه المجموعة أفكار الداعية الاسلامي 'جمال الدين الافغاني ' الذي دعى الى تحرير المسلمين من الهيمنة العثمانية و الاحتلال الاجنبي وآستمدت افكارها – شانها في ذلك شان نخب شمال افريقيا – من افكار القومي ' شكيب ارسلان ' و ' محمد عبده ' و غيرهم من قوميين عرب في كل من سوريا، مصر و العراق.

آعتمدت هذه الفئة في نشر افكارها الاصلاحية و تربية النشىء و توعية الناس على الصحافة, فانشئت جريدة المنتقد عام 1925 و التي عطلت بعد عددها الثامن عشر (18) فعوضتها جريدة الشهاب و جريدة الحق (21) الى جانب بعض الجرائد التي كان يصدرها ' الطيب العقبي ' احد اعضاء الجمعية مثل صوت 'الصحراء و الاصلاح '.

كانت معظم افكارهم اصلاحية و موجهة بالدرجة الاولى للفئة المثقفة على وجه الخصوص لان الذي يستفيد من افكارهم هي الفئة الميسورة الحال.فهذه الاخيرة هي التي باستطاعتها التعلم و التثقف اما بالنسبة لمواقفهم السياسية فكانت متباينة (22) تختلف من شيخ لاخر، 'فالطيب العقبي ' كان يحترز من العمل السياسي و يولي اهتماما بالغا للاصلاح الديني و الثقافي، اما 'الامين العمودي' فكان لايرى فصل مصير الاسلام عن مصير البلاد و الجزائريين و الشيخ 'عبد الحميد بن باديس' كان يحيي الروح الوطنية و يصون التقاليد و يحترم الوطن ، بينما 'مبارك الميلي' و 'احمد توفيق المدني' فكانا يركزان على دور التاريخ في نشر الوعي الوطني و الذي سماه 'محفوظ قداش' ب'الصحوة الوطنية'.

رفض العلماء فكرة التجنس و هذا في حد ذاته عمل سياسي لان التجنس يتعارض و الاسلام بحيث ان المسلم متى تجنس اصبح خاضعا للقانون المدني الفرنسي و ليس للشريعة الاسلامية. يحصر بعض المؤرخين نشاط الجمعية في الاطار الديني.

---

(21) محفوظ قداش مرجع سابق الصفحة -25-

(22) محفوظ قداش نفس المرجع السابق و نفس الصفحة

قد يعود هذا الى كون جريدة الشهاب التابعة للشيخ 'ابن باديس' منذ عام 1925 دعت الى تشكيل حزب ديني بحت، حيث تتم مكافحة الخرافات و البدع التي شوهت الاسلام ، و قد يعود هذا لكون الجمعية تبنت منذ البداية الدفاع عن الاسلام و تصحيحه، و استخدمته كغطاء لنشاطاتها السياسية حتى لا تجلب انتباه الادارة الاستعمارية. اذا كان اغلب المؤرخين يقرون بالجانب الديني للجمعية و ينكرون الادوار الاخرى السياسية و الاجتماعية فان السيد 'عبد الحميد مهري' الامين العام لحزب جبهة التحرير الوطني، يقر بالادوار الثلاثة للجمعية اذ يقول: < لجمعية العلماء برنامج ذو زوايا ثلاثة: دينية و اجتماعية و سياسية، غير ان هذه الاخيرة لم تكن صريحة لدى العلماء ، و قد عملوا بتوجيه ' ابن باديس' من اجل التعريف بالاسلام الصحيح و فصل الدين عن الدولة و القضاء على الطرقية>. (23)

يؤكد مؤرخ الحركة الوطنية الجزائرية 'ابو قاسم سعد الله' ان حركة الاصلاح لم تبدأ بجمعية العلماء (24) ، فالحركة تعود الى العقد الاول من هذا القرن ، ثم تبلورت و نضجت على يد 'ابن باديس' و تلاميذه و انصاره خلال العشرينات حيث نشأت الصحافة الاصلاحية و تأسست النوادي و بنيت المدارس الحرة و مساجد الوعظ و الارشاد في كثير من المدن و القرى. كما يؤكد ان ميلاد الجمعية قد خدم الاتجاهات الاخرى غير الاصلاحية،حيث يقول: < لم يكن ميلاد جمعية العلماء ميلادا للاصلاح كما يتوهم البعض، بل لعل ميلادها على النحو الذي تأسست به كان خدمة للاتجاهات الاخرى غير الاصلاحية التي كانت تشعر بانها اصبحت خارج التيار الاجتماعي فارادت ان تستعيد نفوذها عن طريق الجمعية ، كما ان الادارة الفرنسية كانت تطمح من وراء الجمعية الى ملء الفراغ الذي كان الاهالي يحسون و لاسيما بعد القضاء على حركة'الامير خالد' و حل نجم شمال افريقيا>. (25)

تناول الكثيرون من الباحثين بالدراسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و حددوا اهدافها، منهم من حصرها في الجانب الديني و التربوي و هم الاغلبية . فمثلا كتب 'عبد الرحمان بن ابراهيم العقون' عن ادوارها و حصرها فيما يلي: < تاسست جمعية العلماء الجزائريين بقصد ان تكون جمعية ارشادية تهذيبية و لنشر الرقي و الاخوة على اساس الاسلام و العربية> (26) و ذكر 'ابو قاسم سعد الله' بعض ادوارها و لخصها فيما يلي : < التعلم العربي و محاربة الخرافات و تصفية الاسلام مما علق به من شوائب خلال القرون المتأخرة >. (27)

---

(23) عبد الحميد مهري مرجع سابق الصفحة -25-
(24) سعد الله ابو قاسم 'الحركة الوطنية الجزائرية' 1930-1945 الجزء الثالث الصفحة -82-
(25) سعد الله ابو قاسم نفس المرجع الصفحة -83-
(26) عبد الرحمان بن براهيم العقون 'الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر' الجزء الاول (1920-1936) الجزائر 1984 الصفحة -185-
(27) سعد الله ابو قاسم مرجع سابق الصفحة -84-

لكن "ابو القاسم سعد الله" يقر بأهدافها المتعددة و في جميع الجوانب اذ يقول: < و الواقع ان جمعية العلماء كانت متعددة الاهداف اذا نظرنا اليها نظرة المعاصر الذي يوزع المسؤوليات على اصحاب الاختصاص، فالمعاصرون وزعوا احمال الوطنية الجزائرية على هيئات معينة و خصوا كل هيئة بحمل. فاعطوا النخبة صفة الاعتدال و تأييد الاندماج و اعطوا العلماء صفة الدفاع عن العروبة و الاسلام و اصلاح الدين و المجتمع و اعطوا النجم صفة الثورية و الانفصالية عن فرنسا >. (28)

مهما اختلفت الاراء و الاحكام حول ادوار جمعية العلماء فانه لا يمكن نكران نشاطها السياسي الذي الحق بها اذى و قمع الادارة الاستعمارية. فالتستر تحت غطاء اصلاح الدين و المجتمع من الفساد و الجمود الذين ساداه نتيجة تشجيع بعض الطوائف من طرف الاحتلال على نشر البدع و الشعوذة و التضليل و غيرها من شوائب تحطم الاسلام و المجتمع. لا يمكن اعتباره مجرد اصلاح ديني و انما كان بمثابة نشر للوعي و التوعية لان الشعب الجزائري متى تحرر من اوهام الخرافات عرف كيف يخلص نفسه من العبودية و الهيمنة. فالجهل هو العامل الاساسي في تكريس الاحتلال لدى آية أمة. و لهذا فان العلماء شرعوا في تحرير العقول و الاذهان من الجهل و تبصيرهم بالحقائق الاستعمارية.

من جملة النشاطات السياسية للجمعية دفاعهم عن وجود امة جزائرية. فقد طرح 'ابن باديس' فكرة الكيان الجزائري خلال الثلاثينات حين نفي مثقفوها وجودها عبر التاريخ، ثم ان وقوفهم ضد التجنيس و الاندماج في الوسط الفرنسي نشاط سياسي. فالعلماء تعرضوا لنفس التعسف و القمع الذين تعرضت لهما الاحزاب الوطنية الاخرى. خاصة و ان مشاركتهم في المؤتمر الاسلامي بالجزائر عام 1936 جلبت لهم نقمة الادارة و الخصوم. و هناك مواقف اخرى عبرت فيها الجمعية عن رؤيتها السياسية ان لم يكن موقفها السياسي، فقد قال رئيسها "عبد الحميد بن باديس" <ان الاستقلال حق طبيعي لكل شعب على الارض> (29). لم تكن الجمعية تخوض في العمل السياسي بشكل مباشر تحاشيا للاصطدام مع الادارة الاستعمارية لذلك صرحت بانها "لا سياسية" و انها تريد ان تكون جمعية للارشاد الروحي و المعنوي للنهوض بالشعب الجزائري المسلم و محاربة انحطاطه الروحي و الفكري (30) . لقد كانت من خلال اقامة المدارس و توسيعها للقرى و المداشر و نشر التعليم تنافس الثقافة الفرنسية من جهة و تعمل على صيانة الاحوال الشخصية للامة الجزائرية من جهة اخرى.

---

(28) سعد الله ابو قاسم،مرجع سابق الصفحة -86-

(29) سعد الله ابو قاسم مرجع سابق الصفحة -85-

(30) محفوظ قداش ، مرجع سابق الصفحة -26-

و لهذا بدأت الادارة الاستعمارية تتضايق من نشاطهم الاصلاحي التربوي و الديني فسلطت عليهم الطرقيين لتجميد الفكر و العقل معا. ثم ان معاداتهم لفكرة التجنيس و التي كان يعتبرها 'احمد توفيق المدني' تخليا عن الجنسية و اللغة و نبذ التاريخ و التقاليد و تبني جنسية العنصر المهيمن حيث اورد رأي الدين في فكرة التجنس كالاتي: < ان التجنس بجنسية غير اسلامية هو كفر وردة لان المتجنس يلزم بالانسلاخ عن الشرع الاسلامي و الخروج عن دائرة القاضي المسلم و يدخل ضمن الحقوق المدنية الفرنسية و ذلك انسلاخ عن احكام الاسلام طوعا> (31) فهذه المعاداة العلنية جلبت اليهم عداء و سخط الادارة الاستعمارية.

كانت ايديولوجية العلماء قائمة على الانتماء العربي الاسلامي و توحيد المغرب العربي و هذه الافكار هي التي اخرجتهم من الاطار الاصلاحي التربوي الى اطار العمل السياسي. يؤكد هذا الحكم "محفوظ قداش' اذ يقول: < ان نمائجهم الشرقية، الوحدة العربية و الوحدة الاسلامية و ادانتهم التجنس ادت بهم الى القضية الوطنية الجزائرية. و بهذا خرج العلماء من اطار جمعيتهم الاساسي اي اطار اللاسياسية> (32).

ركزت الجمعية على الطابع الاصلاحي للتربية و الثقافة و لم تهتم اكثر بالجوانب السياسية . و حسب الدكتور 'بو الشعير السعيد' ان مرد ذلك هو ان قادة الجمعية يربطون مسالة نجاح اية حركة بمدى وعي و تعلم المنضمين اليها (33) . فالجمعية الحت على التعلم و الوعي النابع من الثقافة العربية الاسلامية المتميزة عن الثقافة الفرنسية، و بالتالي فان شعور المواطن الجزائري بتميزه عن الفرد الفرنسي، بشخصيته و ثقافته و ارضه يجعله يعمل من اجل تاكيد استقلاليته.

نخلص الى القول ان ايديولوجية الجمعية ايديولوجية وطنية اصلاحية قامت على معارضة الاندماج والتجنس و تدعم الحركة الاصلاحية العربية الاسلامية. لكن بالنسبة لمبدأ الاستقلال و الذي اكد عليه الدكتور 'بو الشعير'، فان الكتب و الدراسات حول الجمعية و ادوارها لم تذكر انها نادت به علانية كما هو الحال بالنسبة للتيار الثوري. لكن اذا حاولنا تحليل المبادئ الثلاثة التي رفعتها كشعار لها: < الجزائر وطني ، العربية لغتي و الاسلام ديني> و تصورنا تاثيرها على مجموع الشعب الجزائري و جدنا انها تنطوي على ايديولوجية معارضة لمبدأ الاحتلال و الامبريالية و بالتالي رفض الاحتلال و ادوات تكريسه في الجزائر.

---

(31) احمد توفيق المدني 'حياة كفاح' مذكرات القسم الثاني في الجزائر 1925-1954 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع رقم النشر 77/687 الصفحة -34-

(32) محفوظ قداش مرجع سابق الصفحة -27-

(33) الدكتور سعيد ابو الشعير 'النظام السياسي الجزائري' الطبعة الثانية دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر الصفحة -12-

لو صدقت التهم الموجهة للجمعية على انها ذات اهداف تربوية ثقافية بعيدة عن المطالب السياسية فلماذا تعرضت كبقية احزاب المعارضة الوطنية للمضايقات؟

تخليصا لما تقدم فان جمعية العلماء تحتل مكانة خاصة في الحركة الوطنية الجزائرية. فقد ساهمت في تكوينها ككل التيارات الاخرى رغم موقفها المعتدل بالنسبة للتصريح بمبدأ الاستقلال. فمنذ البداية اعلنت نفسها منظمة ذات طابع ديني، هدفها حماية الاسلام و تجسيد قيمه بحيث اورد الباحث الاجتماعي 'هواري عدي' ذلك في كتابه الانف الذكر مايلي:

L'association des Oulemas d'Algerie, que le Cheikh Abdelhamid Ibn Badis crée en 1931, se proclame une Organisation à vocation religieuse; son but est la défense de l'Islam et la restauration de ses valeurs.

و يضيف بان القاعدة الاجتماعية لهذه الحركة الاصلاحية تدل على ان هناك تغييرات اجتماعية حدثت على اثر النزوح الريفي الذي غزا المراكز الحضرية .هذا ادى الى توسيع في عدد المأجورين الحضريين مما سبب قطع العلاقات مع العالم الريفي و تضاعفت نسبة صغار و متوسطي التجار و ظهور فئة من الموظفين الثانويين في المدن بمجاورة الفئات الاوربية تفتحت على افكار التقدم و تاثرت بها و بالحضارة الغربية. و كانت في الوقت نفسه الحركة الاصلاحية تبحث عن اسلام مجرد من البدع و من الممارسات القبلية في عبادة المقدسين و اولياء الله الصالحين . فقد عمل العلماء على تحرير الفئات الاجتماعية الحضرية من المفهوم التقليدي للاسلام و الذي يتعارض و اشكال الحياة الحديثة كتقليد الاوربيين في نمط المعيشة و التفكير العلمي في تفسير الظواهر و معنى هذا انهم دعوا لربط الاسلام بالحداثة.

ما يمكن استنتاجه هو ان مركز الدفاع عن المبادئ الاسلامية انتقل من المراكز الريفية الى المناطق الحضرية، حيث ظهر سابقا المرابطون و بعض الصالحين في المغرب العربي خاصة المغرب الاقصى حاربوا المسيحيين خاصة البرتغال و الاسبان الذين هددوا السواحل المغربية.

- المؤتمر الاسلامي الجزائري:

ان فكرة جمع الاحزاب الوطنية لم تكن بالامر الجديد فقد طرحها من قبل " الامير خالد' و لم تنجح و قد اعادت المطالبة بها ' جريدة الدفاع ' عام 1934 و التي كان يديرها السيد الامين العمودي و الناطقة بالفرنسية (35).

(34) HOUARI ADDI, Opcit Page -31-

(35) سعد الله ابو قاسم مرجع سابق الصفحة –149–

فقد دعا ابن باديس الى اجتماع كل الاحزاب الجزائرية في مؤتمر اسلامي طالب بتطبيق الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية و حتى السياسية التي جاء بها مشروع 'بلوم فيوليت' الذي رفضه نجم شمال افريقيا. جمع هذا المؤتمر كل من جمعية العلماء ، النواب و الشبان و الشيوعيون و الاشتراكيين باستثناء النجم الذي كان لغاية ذلك الوقت في المهجر. و الذي كان يهم النواب و النخبة هو تطبيق مشروع ' بلوم فيوليت ' الذي وضع من اجلهم و كانت مطالب العلماء تنحصر في تحرير الدين الاسلامي من الدولة الفرنسية و تعميم التعليم العربي الحر بواسطة ابناء الشعب. اما الشيوعيون و الاشتراكيون فكانوا يريدون جمع قوى الشعب وراء الجبهة الشعبية(36).

اصدر المؤتمر وثيقة سميت' بالميثاق المطلبي للشعب الجزائري المسلم' والتي من اهم بنودها (37)

- الغاء جميع القوانين الاستثنائية .
- الضم المحض و المطلق لفرنسا مع الغاء المؤسسات الخاصة .
- ابقاء قانون الاحوال الشخصية عن طريق تطبيق الشريعة الاسلامية.

بالاضافة الى مطالب اجتماعية لتحسين المستوى المعيشي للسكان الجزائريين وادماج ابنائهم في التعليم و اخرى اقتصادية كالمساواة في العمل انشاء التعاونيات الزراعية و مراكز لتثقيف الفلاحين و ايقاف الحجز . اما المطالب السياسية فلم تطرح القضية الوطنية صراحة و انما اكتفت بطلب العفو عن المعتقلين، حق الترشيح و التصويت و التمثيل البرلماني.

كانت مبادرة المؤتمر الاسلامي عبارة عن ضم لبرنامج الاحزاب المشكلة منه و توحيد اهدافها التي كانت في مجملها اصلاحية اجتماعية و اقتصادية و لم تتطرق للمسالة الوطنية و لم تمس السيادة الفرنسية . كانت في معظمها تمثل نفسها وتمثل نخبا معينة و محدودة , فهي لم تمثل كل الفئات الاجتماعية ان لم نقل كل الطبقات الاجتماعية و لم تعبر عن طموحاتها. كما ان مواقفهم لم تكن واحدة و موحدة ' فلاحمد توفيق المدني ' و هو احد اعضاء جمعية العلماء لم يكن راضيا عن المطالب المقدمة ولا عن الوسائل المبذولة و قد نصح المؤتمرين المجتمعين يوم السابع من جوان من عام 1936 بتغيير مطالبهم الاندماجية و تغيير اسلوب عملهم الذي اثبت فشله من قبل اذ جاء في مذكراته مايلي:

'طوروا مطالبهم و انتم تجمعون مؤتمرا لاول مرة في تاريخ الجزائر و نادوا بالقومية الجزائرية ونادوا بوجوب تكوين حكومة جزائرية و انتخاب برلمان جزائري مع حفظ حقوق فرنسا و الفرنسيين بالجزائر' . (38)

---

(36) سعد الله ابو قاسم نفس المرجع الصفحة -83-
(37) محفوظ قداش مرجع سابق الصفحة -32/31-
(38) احمد توفيق المدني، مرجع سابق الصفحة -251-

وكان رد فرحات عباس كالآتي : < هذا خيال وهذا معناه إعلان الحرب علــــى فرنسا > (39) ورأى رئيس جمعية العلماء الشيخ عبد الحميد ابن باديس انه < لم تحن الساعة بعد لهـــذا ، ويكفينا أن نحرز على إستقلال الدين وحرية الغربية >. (40)

فشل المؤتمر الإسلامي الجزائري في تحقيق المطالب التي دافع عنها وآقترح "فيون بلوم" مقابل هذا الرفض توسيع دائرة الناخبين الجزائريين ضمـن الهيئـة الإنتخابيـة بـالجزائر بإدخـال 21 ألـف مـن النخبـة ضمن مجموع الفرنسيين الذي كان يبلـغ 202750، فـأحتج النـواب الفرنسـيون وهـددوا بالإسـتقالة إذا تـم ذلك. وآكتفت الحكومة برفع عدد نواب المسلمين بمجلس النيابات المالية من 21 إلى 24 نائبـا مقـابل 48 نائب فرنسي . (41)

إن الأخذ بالأفكار الإندماجية للمنتخبين لايخدم المجتمع الجزائـري بقـدر مـا يدعـم الوجودالإسـتيطاني بالجزائر. فالتمتع بنفس الحقوق والواجبات للفئتين :الوطنية والأجنبية في كل من فرنسـا والجزائـر معنـاه الإعتراف بحقيقة مقولة 'فرنسة الجزائر' وتأكيد إنتماءها لفرنسا والإتحاد مع فرنسا ما هو إلا قناعا لهذا الدمج الكلي في المجتمع الفرنسي . بما أن هذا الأخير هو المهيمن فمعنـاه ذوبـان الكيـان الجزائـري داخـل المجموعة الفرنسية وهذا من شأنه القضاء على طموحات الجزائريين في الإستقلال .

الحزب الشيوعي الجزائري :

تكون الحزب الشيوعي الجزائري في ظل الحزب الشيوعي الفرنسي وأستمد أفكاره من مبادئ الأممية الشيوعيةالعالمية الثالثة. انفصل عنها خلال عام 1935 وصار حزبا شـيوعيا جزائريـا. نـادى فـي البدايـة باستقلال الجزائر ظنا منه أن الحركة العالمية الشيوعية تتضامن مع حركـات التحـرر فـي العـالم وتسـاندها بحيث كانت هذه الحركة تنادي بان حركة الشـعوب المسـتعمرة تضعـف الامبرياليـة و تسـاعد علـى الكفـاح التحرري للطبقة الكادحة الاوروبية لذلك ناقش الشيوعيون الجزائريـون القضيـة الوطنيـة فيمـا بيـن عـامي 1925و 1926. فقد نصت اللائحة المصادق عليها في الندوة الجهويـة المنعقدة بالجزائر على أن الاستقلال هو الهدف الحقيقي للمستعمرات المضطهدة و اعترفت بوجـود و عـي وطنـي لـدى الجمـاهير المسـلمة فـي الجزائر.(42)

---

(39) احمد توفيق المدني، مرجع سابق الصفحة -251-

(40) نفس المرجع السابق و نفس الصفحة.

(41) نفس المرجع الصفحة -253-

(42) محفوظ قداش مرجع سابق الصفحة -55-

كان الشيوعيون يرون تحقيق الاستقلال الوطني عن طريق محاربة الرأسمالية و الامبريالية لذلك أبدوا معاداتهم لدعاة الادماج و أعتبروا مطالب المنتخبين خاصة التمثيل النيابي خطرا على القضية الوطنية لانه خديعة توجه نحوها الامبريالية الفرنسية البرجوازية الاهلية العميلة.(43) يشاطر هذا الراي القائل بالوسيلة الاقتصادية لتحقيق الاستقلال ماقاله ' هواري عدي': ' ان ايديولوجية هذا الحزب مبنية على صراع المستغلين و المستغلين ، فهي لا تعتمد على مقياس الدين و لا الثقافة و لا العرق وانما على اساس اقتصادي.' (44)

لكن المجتمع الجزائري لا يقاوم الاحتلال الاجنبي من اجل تصحيح وضع اقتصادي و انما في اطار أكبر و هو حل المسالة الوطنية. تخلى الشيوعيون عن أطروحة الاستقلال للصعوبات التالية:

- صعوبة التقرب من الجماهير المسلمة المعادية للفكر الشيوعي و تعاطف الجماهير مع فكرة التضامن العربي أكثر من مساندتها لفكرة الانضمام للاممية الشيوعية، وكانت الجماهير الجزائرية ترى في جمعية نجم شمال افريقيا الحزب الوحيد الذي يعكس طموحاتها. هذا من جهة و من جهة اخرى فان مناداة الشيوعيين الجزائريين بالفكرة الوطنية كانت لا ترضي القاعدة الشيوعية الاوروبية، و باختصار فان سياسة الحزب الشيوعي الجزائري كانت مرتبطة بسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي لان مهما اختلفت ايديولوجية الفئات المكونة للمجتمع الاستعماري لا تستغني عن الوسط العمالي من اصل أوروبي . هذا الوسط الذي وضع المسألة الاجتماعية قبل مناقشة القضية الوطنية الجزائرية و لهذا وجد الحزب الشيوعي الجزائري نفسه عاجزا عن رسم مشروع لمجموعة سياسية و لم يستطع تجاوز التقسيمات العرقية و الدينية و الثقافية و فقد أغلبية عناصره الاوروبية و حتى تواجده بين الجزائريين يعيق الانسجام الاجتماعي الذي تستمد منه الايديولوجية الوطنية قوتها و سلاحها.

حلل الدكتور ' يحي بوعزيز ' ايديولوجية الحزب الشيوعي الجزائري من خلال مشروع القانون الاساسي للجزائر الذي قدمه عام 1947 و اقترح اتحاد الجزائر مع فرنسا و تطبيق المساواة بين المسلمين الجزائريين و الاوربيين و حرية العبادة و فصل الدين الاسلامي عن الدولة و تعميم استعمال اللغة العربية و انتخاب مجلس جزائري من 120 عضوا نصفهم أوربيون، اضافة الى انشاء حكومة جزائرية ذات استقلال داخلي ذاتي و فتح المجالس البلدية أمام الجزائريين. نلاحظ هنا ان الحزب الشيوعي الذي انتقد السياسة الاندماجية للمنتخبين ، عاد و اخذ بها. لا يعتبر هذا المشروع الامة الجزائرية كلا موحدا (45) و انما يعتبرها مجموعة عناصر متعايشة أهمها العرب و البربر.

(43) محفوظ قداش مرجع سابق الصفحة -55-

(44) HOUARI ADDI, Opcit Page -79-

(45) الدكتور يحي بوعزيز 'الايديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية' من خلال ثلاثة وثائق جزائرية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986

و هي دعوة للانقسام و التباين العرقي. هذه الفكرة العنصرية تبناها الاحتلال الفرنسي منذ أن وطئت اقدامه أرض الجزائر لفصل الامة الجزائرية عن بعضها البعض و خلق فئة موالية لهم تمكنهم من احكام سيطرتهم على البلاد . فافكارهذا الحزب منحرفة (46) او كما يقول الدكتور ' بو عزيـــز' ايديولوجية منحرفة تعامت عن الحقيقة الكبرى و هي ان الشعب الجزائري عريق و أصيل و قديم قدم التاريخ، صهرته المحن ووحدته الخطوب و فشلت كل محاولات الاستعمار الفرنسي في تمزيق و حدته.

نص على تكوين مجلس جزائري من 120 عضوا نصفهم أوروبيون يتم اختيارهم عن طريق الانتخاب و لكن في غرفتين منفصلتين و احدة للاوربيين و أخرى للاهالي الجزائريين. و هذا في حد ذاته تمييز عنصري قائم على احتقار العنصر الجزائري و اعتباره أقل شأنا منهم. و قد حصرت مهمة هذا المجلس في معالجة المسائل الداخلية و فرض عليه تطبيق القوانين الفرنسية. نص هذا القانون الاساسي على تعيين ممثل للحكومة الفرنسية يمثل مصالح الاتحاد الفرنسي في الجزائر و يشترك في مداولات المجلس الجزائري و مجلس الوزراء و يحتكر لنفسه السلطة المطلقة فيما يخص الشؤون الخارجية للجزائر و الدفاع و التجارة الخارجية مع اقطار الاتحاد الفرنسي . و هذا يعني ازدواجية السلطة و الحد من مشاركة الجزائريين في حكم بلادهم. و عليه فان ايديولوجية الحزب الشيوعي الجزائري ايديولوجية تدافع عن مصالح فرنسا و تحميها بالجزائر وان الاصلاحات التي طالب بها ماهي الا اصلاحات شكلية لا تمس جوهر المطلب الاساسي و هو الاستقلال و تحرير الجزائريين من الاستغلال الرأسمالي. ان ايديولوجية هذه الحركة الشيوعية لم تسلم بوجود شعب جزائري موحد بل أكدت على انه مزيج من عرب و بربر للتفريق بينهم و زرع النعرات العرقية التي من شأنها تكسير وحدة الشعب.

- البيان الجزائري:

جاء البيان بتاريخ 12 ماي 1943 نتيجة الظروف الجديدة التي اتاحت الفرصة لتوحيد الرؤى حول القضية الوطنية بسبب تعنت فرنسا و عدم سماعها لنداءاتهم . و خاصة أرتبط بالامل الناجم عن تصريحات الرئيس روزفلت . و البيان عبارة عن ارادة صادقة من طرف النخبة المثقفة في التقرب من الوطنيين لا يجاد حل للمشكل في الاطار الوطني مادام الطريق الفرنسي مسدودا.

(46) الدكتور يحي بوعزيز مرجع سابق الصفحة -7-

أعترف البيان بفشل سياسة الاصلاح و طرح مطالب وطنية كالغاء الاستعمار و تطبيق حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها و منح الجزائر دستورا خاصا يضمن لها الحرية و المساواة المطلقة لكل سكانها دون تمييز جنسي أو ديني الى جانب مطالب اقتصادية كالغاء الملكية الاقطاعية عن طريق اصلاح زراعي، مطالب اجتماعية كالاعتراف باللغة العربية و التعليم المجاني و الاجباري بالاضافة الى المشاركة الفعلية و الفورية للمسلمين في حكم بلادهم. (47)

فزعت الادارة من هذا الاتفاق الوطني حول القضية الوطنية. فاسرع ' ديغول ' و حكومته لادخال بعض الاصلاحات ظنا منه انها كفيلة بايقاف الحركة الجزائرية، فاعطى بموجب امر 7 مارس 1944 حقوق و واجبات الفرنسيين للجزائريين بحيث سمح لهم بدخول بعض الوظائف و توسيع تمثيلهم في المجالس المحلية و الغاء المندوبيات المالية و تعويضها بمجلس مالي و حق التصويت الى جميع المسلمين الذين لا يتمتعون بالمواطنة الفرنسية.رأى فيه بعض الدارسين تطبيقا متأخرا لمشروع ' بلوم فيولت '.

- أحباب البيان و الحرية:

تقدم ' فرحات عباس ' باقتراح تشكيل حزب سياسي الغاية منه التعريف بالاطروحات التي تبناها البيان. فقد تبنى التنظيم الجديد ايديولوجية وطنية معادية للنظام الاستعماري ، فتمحورت اهدافه حول مكافحة النظام الاستعماري و تجسيد فكرة الامة الجزائرية و تأسيس جمهورية مستقلة ذاتيا و متحدة مع جمهورية فرنسا ووضع حد لامتيازات الطبقات المسيطرة خاصة الفرنسية.

ان ما يذكر بشأن هذه الحركة السياسية انها و حدت الرؤى حول القضية الوطنية و انتصرت الفكرة الوطنية المنادية بتحرير البلاد على فكرة الاندماج و حل المسالة الوطنية في اطار فرنسي.الا ان انقسام الحزب الى معتدلين و متطرفين اثار الكثير من الخلافات بين تكويناته (حزب الشعب الجزائري - جمعية العلماء - المنتخبون و بعض الاحرار من الاعيان). فالمعتدلون كانوا يرغبون في اقناع السلطات الفرنسية بضرورة الحوار مع ' احباب البيان و الحرية ' لايجاد حل وسط في اطار وطني.

نخلص الى القول ان المنتخبين و الاعيان تحققوا من الوعود الكاذبة لادارة الاحتلال فغيروا لهجتهم و رأوا ضرورة طرح القضية الوطنية في اطار وطني مادام طرحها في الاطار الفرنسي لا يجدي نفعا ' انه اصبح من الضرورة ايجاد حل للمشكل الجزائري في اطار الامة الجزائرية.' (48)

(47) محفوظ قداش مرجع سابق الصفحة -73-
(48) نفس المرجع الصفحة -72-

بدأت الفكرة الوطنية تتضح اكثر عند الجماعات المعارضة خاصة لدى الاندماجيين لتردي الوضع الاقتصادي للجزائر اثناء الحرب العالمية الثانية. فقد زادت مصادرة المنتوجات للقوات الفرنسية العسكرية من تفاقم خطر تدني انتاج المحاصيل. ولم يمس هذا النقص المواد الغذائية فقط بل تعداها الى التقليص في المواشي حيث تضاءلت من 6.407.000 رأس عام 1939 الى 2.053.000 رأس عام 1946 . (49) هذا النقص الرهيب في مصدر رزق الفلاحين الثاني أثر بشدة على نفسية الفلاحين الذين تضاءلوا منذ عام 1930 بنسبة 20 بالمئة بينما زاد عدد العمال الريفيين بنسبة 29 بالمئة.(50) هذا يدل على ان الفئة الريفية الفلاحية تحولت بسبب الوضع الاقتصادي السيء الى فئة برولتاريا او شبه برولتاريا . هذه التحولات الاجتماعية – خاصة لفئة الفلاحين – و التقلبات الاقتصادية أثرت على احزاب الحركة الوطنية فغيرت اسلوبها و تنازلت عن مطالبها الاندماجية و تغير موقفها من الاحتلال و صارت تكن له العداء .

أشارت ' مغنية الازرق' الى هذا التغيير في اسلوب المقاومة و نظرة الزعماء الوطنيين للحركة الاستعمارية و اكدت ان' فرحات عباس ' تخلى عن افكاره الاندماجية حيث قالت: ' يكفي ان نفحص عملية الاستعمار للجزائر لندرك كيف هبطت سياسة الدمج التي طبقت اليا على البعض و انكرت على البعض الاخر بالمجتمع المسلم الى مستوى العبودية الصريحة . و لايمكن لعملية الاستعمار هذه ان يكون لها الا مفهوم واحد ذلك هو مفهوم مجتمعين غريبين عن بعضهما . ان رفضها لانضمام الجزائريين المسلمين الى المجتمع الفرنسي قد أحبط كل اولئك الذين كانوا يحبذون سياسة الاندماج '. (51)

تراجع ' عباس فرحات ' عن المطالبة بالاندماج و دعا الى اقامة دولة جزائرية ذات حكم ذاتي لها دستورا و ترتبط بفرنسا. لكن الحكومة الفرنسية ما طلت و ردت عليه بتشكيل لجنة تحقيق مختلطة لما بين خمسين (50) و ستين (60) ألف جزائري . فتيقن ' عباس فرحات ' من مراوغات السلطات الفرنسية و قابلها بتشكيل جبهة ضمت بعض التنظيمات السياسية حيث بدأ التقارب بين الاحزاب السياسية ذات الايديولوجيات المتباينة .أضمحلت هذه الجبهة و زالت بعد مجزرة 8 ماي 1945 و سجن زعيمها و اصبح حزب الشعب الجزائري يتعامل بحذر و يتحاشى المواجهات المباشرة مع السلطات الاستعمارية .

---

(49) مغنية الازرق مرجع سابق الصفحة -73-

(50) نفس المرجع و نفس الصفحة

(51) نفس المرجع الصفحة -75-

آختلف الباحثون حول طبيعة احداث 8 ماي 1945 فمنهم من رأى انها أحداث عابرة فرضتها ظروف الاستنكار و الاحتجاج ضد وعود فرنسا الباطلة التي قطعتها على نفسها للجزائريين متى انتصرت على ألمانيا و حلفائها . و منهم من رأى انها بداية لثورة حقيقية و منهم ' محفوظ قداش ' الذي يقر بطابعها الثوري و يسميها ' ثورة ماي 1945 ' و ليس ' أحداث ماي 1945 ' أو ' مظاهرات ماي 1945 ' حيث قال : ' أن ارادة حزب الشعب الجزائري في التظاهر بمناسبة انتصار الحلفاء لصالح الاستقلال و اطلاق سراح ' مصالي ' رغم معارضة الادارة و المناورات الاستفزازية التي قام بها غزاة الاستعمار كانت بسبب ماسمي بلحتشام حوادث ماي 1945 و التي كانت في الحقيقة ثورة جزائرية حقيقية.' (52)

لا يمكن اعتبار أحداث 8 ماي 1945 الدموية ثورة شعبية لكونها تفتقد الى شروط العصيان الثوري . فالثورة و التي تعد تغييرا جذريا و كليا للاوضاع السابقة و استبدالها باوضاع جديدة أفضل واحسن لم تخضع لشروط التنظيم الثوري و الاعداد المادي و البشري لها .و لهذا فهي مجرد أحداث عابرة فرضتها ظروف القمع و نكران الوعود التي قدمتها للجزائريين مقابل تجنيدها فى حربها مع الالمان خلال الحرب العالمية الثانية .غير اننا لايمكن ان ننكر دورها الفعال في تقوية الشعور الوطني و فضح حقائق الاستعمار الفرنسي الذي صمم على مقاومة الحركة الوطنية الداعية للتحرر و الاستقلال .واستخلص الشعب الجزائري وخاصة النخب التي تكلمت باسمه و عبرت عن بعض طموحاتها الشخصية ، العبر التالية :

– أن المساواة تضليلا و ان الطريق الاصلاحي مسدودا و لا يؤدي للحرية و أن الطريق الثوري هو الوحيد المؤدي للحرية و استرجاع السيادة الوطنية.

رسم ' عباس فرحات ' انطباعات الشعب أثناء هذه الاحداث بحيث عاشها بصفته أحد الزعماء الوطنيين فقال : << كانت الجماهير الشعبية تلتهب وطنية و تتقد حماسا مصممة العزم على التطلع الى حياة حرة مستقلة >>. (53)

في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الحركة الوطنية ظهرت الاحزاب السياسية التي تطالب بالاستقلال و الانفصال عن فرنسا بحيث أسس ' فرحات عباس ' حزبا جديدا هو حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، بعدها أطلق سراحه من السجن بتاريخ 16 مارس 1946 أما أعضاء حزب الشعب الجزائري فقد أسسوا حزبا جديدا و هو استمرار لحزب الشعب الجزائري تحت اسم ' حركة انتصار الحريات الديمقراطية ' ودخل كل من التنظيمين الانتخابات البرلمانية عام 1947 ولعب ' نيجلان ' الحاكم العام بالجزائر أنذاك دورا كبيرا في تزويرها .

(52) محفوظ قداش مرجع سابق الصفحة -78-
(53) عباس فرحات مرجع سابق الصفحة -253-

و سجن ما يقارب ثلاثين عضوا (30) من حركة انتصار الحريات الديمقراطية وقضت الشرطة الفرنسية على المنظمة الخاصة – التنظيم العسكري السري – لهذه الحركة و التي كانت أكثر الاحزاب الموجودة نفوذا و انتشارا و تغلغلا بين الجماهير الشعبية المدنية و الريفية و بين المهاجرين في فرنسا(54).

<u>حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:</u> كما سبقت الاشارة اليه- أنشأ ' فرحات عباس ' حزبا جديدا تحت اسم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و تراجع بذلك عن افكاره الاندماجية بحيث قال:<< لقد تركنا نهاية الطرق القديمة المعهودة لنسلك الجادة الكبرى، جادة الوطن الجزائري ، أعني المساواة و الحرية لا اندماج و لا سيد جديد و لا انفصال >>. (55)

أما ايديولوجية الاندماجيين فيمكن تحليلها من خلال التقرير الذي قدمه ' فرحات عباس ' الكاتب العام للحزب في المؤتمر الاول المنعقد أيام 25-26و 27 سبتمبر 1948 بسطيف و يحمل عنوان 'نظرات في حاضر الجزائر و مستقبلها' (56) لم يرغب هذا الحزب في اتخاذ العنف كوسيلة للحصول على حقوق الجزائريين المسلوبة، كان يؤمن بما أسماه رئيس الحزب ' الثورة بالقانون ' و معنى ذلك المطالبة الدبلوماسية القائمة على التفاوض و الحوار خاصة مع الديمقراطيين الفرنسيين و هذا لكون أتباعه يتشكلون في معظمهم من الطبقة البرجوازية الصغيرة أي من حملة الشهادات و التكوين الغربي.
أهم الافكار التي تناولها هذا التقرير لتنظيم حياة المجتمع الجزائري هي كالاتي : لا يعتبر الاسلام دينا و دولة لان هذا التقرير لم يدعو لتكوين جمهورية جزائرية في اطار المبادىء الاسلامية بل << ينبغي الا تكون هذه الدولة المنتظرة سلطة اسلامية و لا دومنيونا يكون للاوروبيين فيها حق الاحتكار المطلق بل ينبغي ان تكون هذه الدولة جمهورية ديمقراطية اجتماعية على اساس اتحاد أخوي بين جميع الجزائريين مهما كانت جنسيتهم و ديناتهم و على اساس اعطاء كل ذي حقا حقه من السيادة >>.(57)

– بالاضافة الى الفكرتين السابقتين فان البيانيين او الاندماجيين تبنوا فكرة توطين الاوربيين بالجزائر.
فهم لم يدعوا لتكوين جمهورية جزائرية في اطار المبادىء الاسلامية بالاضافة الى تبني فكرة توطين الأوربيين بالجزائر.

(54) جبهة التحرير الوطني '<u>ميثاق الجزائر</u>' اللجنة المركزية للتوجيه ، مطبعة جريدة النصر قسنطينة غير مؤرخ الصفحة -16-
(55) محفوظ قداش مرجع سابق الصفحة -86-
(56) الدكتور يحي بوعزيز مرجع سابق الصفحة -09-
(57) مأخوذة من التقرير الذي قدمه فرحات عباس للمؤتمر الاول للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري المنعقد في المجلس الشعبي البلدي لمدينة سطيف ايام 25-26-27 نقلا عن الدكتور يحي بوعزيز الصفحة -10-

فهم لا يدعون لانسحاب الأوربيين و هم ضد الثوريين حيث جاء في التقرير مايلي "انا لأ ندعو الى الجهاد فليس ذلك من راينا و نحن ننزه المساجد على الصلوات لغير الله،بل للناس للتغرير بهم. ان المسجد تعطى فيه شهادة استحسان الادارة هكذا نفهم المسألة و بهذا نعمل" (58).

حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية:

نظمت حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي انشأت عام 1946 نفسها كحزب و عقدت مؤتمرها الوطني الاول بالجزائر العاصمة في سبتمبر 1947 وتابع هذا الحزب برنامج الحزب الوطني (نجم شمال افريقيا – حزب الشعب الجزائري). وكان الهدف الأساسي لعمله هو القضاء على السيطرة الامبريالية و استرجاع السيادة. كان هذا الحزب يتمتع بثقة الشعب خاصة وقد احدثت نهاية الحرب حالة جديدة في العالم تميزت بتبلور التيارات الفكرية الكبرى المنادية بالحرية وحق الشعوب في تقرير المصير و لقت صدى لدي الشعب الجزائري خاصة انشاء هيئة الامم المتحدة التي منحت الشعوب املا في حل النزاعات بين الدول و القضاء على الهيمنة الأجنبية بفضل مبدئي الحفاظ على الامن و السلم العالميين و حق الشعوب في تقرير مصيرها.

و ضع حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية منذ نشأته الأولى الأسلوب الثوري منهجا له. ولذلك آستمرت كل تنظيماته السياسية في اتباع هذا النهج. اثناء مؤتمر فيفري 1947 لحركة انتصار الحريات الديمقراطية قررت انشاء منظمة خاصة للاعداد الثوري ,ضمت المنظمة الخاصة مابين 1000 و 1500 مناضل (59) و كان تكوينهم مزدوجا. على الصعيد السياسي كان يؤكد على روح التضحية و تاييد الجماهير الشعبية. و على الصعيد العسكري تلقوا تكوينا نظريا فيما يخص حرب العصابات و التعرف على السلاح و دراسة القوانين العسكرية. و من اعضائها البارزين : (أحمد بن بلة و محمد بوضياف و العربي بن مهيدي) كان هدفها اعداد المناضلين لجيش الثورة, فقد بدأت الروح النضالية تخرج من الطور النظري الى الطور العملي (60). تؤكد الدكتورة " أنيسة بركات " على ان هذه المنظمة كانت تحرص على انتقاء مناضليها. فكانت تختار منهم المخلصين اذ تقول:" و كانت هذه المنظمة لا تجند الا المناضلين المخلصين الذين لها فيهم ثقة و لهم تجربة. و كان أمن المنظمة يتطلب عزل الهيئات بعضها عن بعض حتى لايكون اي اتصال بينها" (61).

---

(58) الدكتور يحي بوعزيز مرجع سابق الصفحة -12-

(59) محفوظ قداش مرجع سابق الصفحة -98-

(60) الدكتورة انيسة بركات "أدب النضال في الجزائر" من سنة 1945 حتى الاستقلال الموسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 الصفحة -37-

(61) نفس المصدر و نفس الصفحة

استمرت المنظمة السرية الى غاية 1950 حيث اكتشفت الشرطة الفرنسية مكانها. بعد تحطيمها آتفقت احزاب الحركة الوطنية على ايجاد صيغة جديدة للكفاح تمثلت في تشكيل الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها و كان ذلك عام 1951 ضمت التشكيلات السياسية التاليه:

- حركة انتصار الحريات الديمقراطية - جمعية العلماء المسلمين - الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و الحزب الشيوعي الجزائري و بعض الشخصيات و قد تم الاتفاق بينهم على تحقيق مايلي: (62)

- احترام حرية التصويت في الهيئة الانتخابية الثانية.
- احترام الحريات الاساسية.
- الحد من القمع و تحرير المعتقلين.
- و ضع حد لتدخل الادارة في الشؤون الدينية.

يلاحظ من خلال هذه الاهداف ان التيار الثوري تراجع عن مطالبه الاساسية و هي الاستقلال التام و ابتعد عن ايديولوجيته الثورية و سقط في دائرة الاصلاحية . لقد فشلت تجربة الاتحاد للمرة الثانية بحيث كانت تضم احزاباً وطنية متباينة المنشأالاجتماعي و مختلفة الاهداف و التصورات لتحقيقها. فلا يمكن ان تجتمع الاطراف الاصلاحية المعتدلة مع الاطراف الثورية المتطرفة.

(62) محفوظ قداش مرجع سابق الصفحة -106-

المبحث الرابع
فشل المقاومات الشعبية و الاحزاب الوطنية

يعود فشل المقاومات الشعبية و الاحزاب الوطنية في مواجهة الاستعمار و تحقيق آمال و مطالب و حقوق الشعب الجزائري الى اكثر من عامل غير ان الطابع الاستيطاني للاستعمار الفرنسي للجزائر يعد اهم عامل في فشل هذه النضالات المسلحة احيانا والسياسية احيانا أخرى حين نوع اساليبه التعسفية للسيطرة على الوضع خاصة بالريف الذي عرف ابشع عمليات الاغتصاب و النهب عن طريق سن اجراءات قانونية لمصادرة اراضي الفلاحين الجزائريين و تثبيت اقدامه بالجزائرو اقامة الاقلية الاوربية بالخصب الاراضي و طرد السكان الأصليين الى الجبال و الاراضي البور قصد تجويعهم و تجهيلهم. وهذا بطبيعة الحال أثر سلبا على نفسية الفلاحين و تقهقرت عزائمهم, منهم من هاجر الى المدينة ومنهم من اعتصم بالجبل وتخلى عن مقاومة الاحتلال و بذلك هدمت المؤسسات الاجتماعية القائمة و المشكلة أساسا من المجتمع القبلي .

انحدر الفلاحون الى طبقة البروليتاريا سواء في داخل البلاد في مصانع المعمرين او داخل فرنسا نفسها. وبذلك حصلت فرنسا على يد عاملة رخيصة الاجر ووجدت في اراضي الجزائريين مصدرا لثرائها و استغلال مواردها الطبيعية في تسيير مصانعها و بالتالي تحويل البلاد الاصلية سوقا لامتصاص منتوجاتها. " أكتسى طابع اغتصاب الاراضي اشكالا مختلفة و اخذ ابعادا كبيرة ولم يكن سهلا أو نابعا عن استسلام.فلم يكن ممكنا الا بموجب اجراءات تعسفية و بعد اصدار مجموعات من القوانين" . (63) ثم ان التقلبات و الثورات التي عرفتها الجزائر طيلة الاحتلال كانت لها عواقبها الاجتماعية فقد أثرت سلبا على الاقتصاد المعيشي سواء في الريف أو في المدن . لكنها كانت أقسى و أخطر في الارياف. لأن الريفيين كانوا أكثر ثورية و تصلبا في مواقفهم المعادية للآحتلال نفسه و المعارضة لمصادرة اراضيهم عنفا. كانت تصادر كلما حدث تمرد على قوانينه الاستثنائية أو ثورة ضد جنوده المعتدين.

---

(63) جيلالي صاري "التقلبات الاجتماعية و الاقتصادية و المقاومة الثقافية" ترجمة عبد القادر بن حراث مرجع سابق الصفحة -124-

فشلت هذه المقاومات المسلحة لأسباب أخرى أهمها:

- محدودية هذه المقاومة الشعبية بحيث لم يكن هناك امتداد ثوري لكل المناطق في البلاد و هذا راجع لافتقادها عنصر التضامن بين رؤساء القبائل ، فالقبائل و العشائر المتجاورة لم تكن تظهر نوعا من التضامن الثوري فيما بينها ، بل كانت القبيلة أو المنطقة المهاجمة تواجه مصيرها بنفسها دون حمية أو تدخل من جيرانها ، ماعدا تجربة "الأمير عبد القادر" الذي استطاع أن ينظم مقاومته ويوحد بين قبائل الغرب الجزائري وبعض القبائل في الشرق و جنوب البلاد. وقد أكد على ذلك " ميثاق الجزائر" في الفصل المخصص لتحليل الحركة الوطنية حيث جاء أنه بعد انهيار البيروقراطية التركية بالجزائر بسبب انكسارها في حربها مع اليونان عام 1827 و سقوط الجزائر بيد الاحتلال الفرنسي ظهرت قوى جزائرية عبر الوطن أخذت زمام قيادة المقاومة المسلحة. ظهرت منها سلطة الامير عبد القادر و تأكدت خاصة بعد أن حطم الفروق بين قبائل المخزن و قبائل الرعية عن طريق الغاء علاقات الاستغلال القديمة التي كانت تثقل كاهل الجماهير من الفلاحين و كان بذلك يهدف الى توحيد البلاد في العمل ضد العدو لصالح سلطة مركزية وحيدة في البلاد". (64) كانت ارادته في تطوير البلاد بوضع أسس اقتصاد عصري تصطدم مع نزاعات الاقطاعيين المعادية للوطن و مع عقليات القادة المحليين الجامدة مثل "الباي أحمد " بقسنطينة .الذي لم يدرك ضرورة العمل الموحد ضد المحتل رغم المقاومة العنيفة التي خاضها ضد الغزو الاجنبي. (65) كان ينقص المقاومات الشعبية عنصر الوحدة كضرورة لتحطيم العدو و قد استمرت هذه المقاومات الشعبية المحلية الى مابعد الحرب العالمية الأولى حيث كانت تندلع انتفاضات دورية في ارجاء البلاد يدعمها الفلاحون.

يرجع ميثاق الجزائر فشل المقاومات الشعبيه المسلحه الى انعدام قيادة مركزيه حقيقيه و ضعف المقاومات في تلك الفترة و التناقضات الداخلية للمقاومة و الخصائص المحلية وخيانة الاقطاعيين. فقد كانت هي السبب و ليس فعالية الجهاز العسكري الفرنسي. ثم أن هذه المقاومات كانت تفتقر للشروط الضرورية لوحدة الشعب .و لمواجهة كل عدوان خارجي فان على الثورة ان تخلق كل الشروط الضرورية لوحدة الشعب و ان تكشف الستار عن الذين تدفعهم مصالح ضيقة لخيانة بلادهم" .(66)

(64) ميثاق الجزائر الصفحة -12-

(65) نفس المصدر الصفحة -13-

(66) نفس المصدر و نفس الصفحة

بعد الحرب العالمية الثانية تغيرت أساليب التعبير عن الرفض للوجود الاجنبي و ظهر اتجاه لتكوين تنظيمات سياسية تدافع عن حقوق الجزائريين بطرق سلمية منظمة, وقد فتح ' الأمير خالد ' حفيد' الأمير عبد القادر ' الطريق أمام الاتجاهات اللأخرى . هذه الأخيرة كانت نخبوية تهتم بفئة دون أخرى فهي لم تمس الأوساط الريفية الفلاحية. ثم أن هذه النخب المثقفة كانت بعيدة عن الاوساط الشعبية الأكثر حرمانا. فقد جاء في فصل تحليل الحركة الوطنية في ميثاق الجزائر مايلي ' لقي هذا الاتجاه اصداء لدى المعتقلين و الوجهاء و لكنه لم يمس جماهير الفلاحين الواسعة التي بقي قادة الانتفاضات المسلحة القدماء قريبين اليها '(67).

هذه الاتجاهات الوطنية فشلت في كل السياسات الاصلاحية التي اتبعتها للمطالبة باسترجاع حقوق الجزائريين لكونها اعتنقت ايديولوجيات غريبسة عن واقع الشعب الجزائري فقد نقلوا تجارب ليبيرالية غريبة وأخرى يسارية لا تمت بصلة لواقع الشعب الجزائري و بعيدة عن طموحاته. هده الايديولوجيات المستوردة كانت تعبر عن مطامعهم الشخصية و تدافع عن مصالح انصارهم دون التعبير عن اهداف الجماهير الريفية الفقيرة ، لكون هذه الاحزاب السياسية النخبوية استمدت مبادئها من مباديء شيوعية و اخرى ليبيرالية وسعت الهوة بين قادتها و الجماهير الشعبية المحرومة. و قد دعمت هذه القطيعة بينهم الفروق الاجتماعية بين القادة و المناضلين في هذه الاحزاب و بين الجماهير الشعبية العريضة. هذه القطيعة لم تكن بالامر الجديد. و انما كانت منذ بداية الاحتلال حيث ذكر المورخ ' أحمد توفيق المدني' في مؤلفه 'حياة كفاح' : ' أن الطبقة البرجوازية التي كانت تسود المجتمع في بداية الاحتلال كانت غائبة عن الساحة لانها كانت مشغولة بجمع الثروة و العمل بشتى الوسائل على الحفاظ عليها '. (68) ثم يضيف ان الطبقة البرجوازية الجزائرية و في قمتها ازواج بنات عمه, هذا الوسط المثري هو ابعد الناس عن الثورة وأحرص الناس على بقاء الوضعية الحاضرة التي تصون ماله و تحفظ مصالحه. (69)

ما يمكن استنتاجه مما تقدم ان الاحزاب الوطنية كانت مختلفة المنطلق حيث ارتبطت أهداف كل حزب بمصالح الطبقة التي ينتمي اليها و اتجاهتهم لم تكن مبنية على اساس نظري. كانت ايديولوجية كل واحد منها متذبذبة تارة و حادة تارة اخرى و موالية و مهادنة مرة اخرى، كما هو الحال بالنسبة لحزب البيان الذي كان ذا اتجاه اسلامي في البداية اذ طالب بالحفاظ على مقومات الامة العربية الاسلامية الجزائرية ثم تراجع و نادى بالادماج الكلي و التجنيس و تنكر لوجود أمة جزائرية تكونت عبر التاريخ ثم عاد و تراجع عن افكاره الاندماجية لينضم للفكرة الوطنية المنادية باستقلال الوطن بعد ان تاكد من اخفاق الاسلوب الاصلاحي و ضرورة الاتحاد الوطني في مواجهة الوضع الاستعماري.

(67) ميثاق الجزائر الصفحة -15-
(68) احمد توفيق المدني مرجع سابق الصفحة - 32 -
(69) نفس المرجع و نفس الصفحة

كما ان الحزب الشيوعي لم يكن جزائريا بل كان يتبع التيار اليساري لفرنسا و كان يدافع عن مصالح الشيوعيين الفرنسيين فكان بعيدا عن جوهر الهدف الحقيقي للشعب الجزائري المتمثل في الحرية و الاستقلال كان ينوي تزويد الحزب الشيوعي الفرنسي باطارات جزائرية لا غير و قد اكد ذلك 'فرحات عباس' بقوله: < لم يكن الحزب الشيوعي الجزائري متحمسا للقضية الوطنية و لا مدافعا عنها و انما كان يخدم السياسة الفرنسية و كان موقفه من موقف الحزب الشيوعي الفرنسي> .(70)

و الدليل على ذلك انه ساعد و وافق حكومة الجبهة الشعبية في قرارها بحل النجم بتاريخ26 جانفي 1937. ثم ان ميثاق الجزائر اكد غياب الحزب الشيوعي الفرنسي و خاصة غياب الحزب الشيوعي الجزائري حيث جاء في تحليله للحركة الوطنية مايلي: < لم يخدم الحزب الشيوعي الثورة بل كان في خدمة الحزب الشيوعي الفرنسي و التيار الغربي> (71) كما ان ايديولوجيته انطلقت من اساس الدفاع عن المسألة الاجتماعية قبل الدفاع عن القضية الوطنية فهي تنكر ايضا الصفة الثورية لطبقة الفلاحيين و خاصة الفلاحيين الجزائريين و تدعي انها تحمي طبقة العمال الجزائريين من خطر الوقوع تحت سيطرة البرجوازية العربية.

ان جل ما كتب حول الحركة الوطنية خاصة من طرف المؤرخيين و المحللين المؤيدين للحركة الوطنية و القضية الجزائرية ينتقدون الحزب الشيوعي الجزائري و يعدونه حزبا فرنسيا لكونه خدم العمال الفرنسيين اليساريين، فعلى سبيل المثال ، الكاتب 'محمد قنانش' ذكر في كتابه حول 'الحركة الاستقلالية في الجزائر' ان الفروق كبيرة بين كل من جمعية العلماء المسلمين كحزب نخبوي اصلاحي و بين حزب الشعب الجزائري كحزب وطني ثوري و بين الحزب الشيوعي الجزائري الذي يعده عالميا لكونه يتلقى تعاليمه و انظمته من خارج الوطن.

أما حزب الشعب الجزائري فيستمد تعاليمه من الارض التي يعيش فيها و من الجماهير التي يحتك بمشاكلها. و يختلف في شيء جوهري مع الماركسية و هو ان الدين الذي تعتبره الماركسية أفيون الشعوب يعد عند حزب الشعب من المقومات الاساسية الاصيلة. كما أن حرية الرأي و تعدد النظريات أمر مقدس عند حزب الشعب، فالماركسية ترفض الحرية الفردية و تجعل من الفرد آلة للانتاج لا رأي ولا فكر و لا روح له. (72)

---

(70) عباس فرحات 'حزب الجزائر و ثورتها' نقله الى العربية ابو بكر رحال غير مؤرخ مطبعة فظلة المحمدية المغرب الصفحة -240-

(71) ميثاق الجزائر الصفحة -16-

(72) محمد قنانش 'الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين' 1919-1939 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1982 الصفحة -87-

لخص الكاتب ' محمد قنانش ' أيضا أهم العوامل التي تفرق بين الاحـــزاب الاصلاحية والحزب الوطني الثوري و اكد ان الاحزاب الاصلاحية اعتمدت على نظريات و افكار أجنبية لا علاقة لها بالواقع الجزائري، فهي أحزاب محدودة تعتمد على المثقفين و الشخصيات و التجار فعلى سبيل المثال جمعية العلماء المسلمين مهمتها تكييف الدين و اصلاحه حتى يتماشى و الوضع القائم و التغيير يكون من الدين لا من الحكم الذي هو ' الاستعمار' فكان مبدأ الاصلاح عندهم يقوم على محاربة الطرق و الزوايا مع مسالمة الحكومة الاستعمارية. فقد جاء ' مبارك الميلي' و هو أحدأعضاء جمعية العلماء المسلمين بفكرة و اضحة مفادها انه ' لا يصلح أمر الجزائر الا بمحاربة الطرقية المضلة و تكوين المدارس العربية تسد الطريق في وجه الاتجاه الإلحادي الفرنسي الذي يريد ان يجعلنا قردة لا مسلمين و لا جزائريين (73) حقا ان محاربة الطرقية عميلة الادارة الاستعمارية كانت من المهام الضرورية لكنها لم تكن بالعمل الوحيد الذي يجب ان يقدم للجزائريين. ثم ما يؤخذ على جمعية العلماء و هو ان جريدة 'الاصلاح' التي كان ينشرها في مدينة بسكرة الشيخ ' الطيب العقبي' و هو أحد أعضائها قد تحمس لفكرة التجنيس واصبحت تروج لها (74) معنى ذلك أن الجماعات المثقفة و الميسورة سواء تلك التي تبنت الدفاع عن المبادىء الليبيرالية او تلك التي حاولت تبني الافكار الاسلامية المحافظة دعت للادماج و التجنيس.

يعود فشل الاحزاب الوطنية الى نقص الوعي الوطني و السياسي لدى مجموع الشعب بسبب الفقر و الجهل الذين كان يسلطهما الاستعمار على ابناء الجزائر. فالحركة الوطنية الاولى – كنجم شمال افريقيا كان – حسب ' أحمد توفيق المدني' أمر سابق لاوانه فقد كان عبارة عن حركة نظرية بحتة لم تلق في وقتها – في مجموع الجزائر – صدى. أما حركة رجال السياسة المرموقين فهي اما حركات محلية تهدف الى التوصل لمقاعد النيابة البلدية و اما هي حركات مهادنة. يؤكد رأي ' أحمد توفيق المدني ' الكاتب ' محمد قنانش ' الذي يعيد فشل الاحزاب الوطنية الى عامل الضعف في الوعي الوطني و السياسي، فحزب الشعب عندما تركز في الجزائر و خرج ليعلن عن أهم مبادئه و اهدافه و جد جوا مغايرا للجو الذي أعتاد عليه بفرنسا. فالوعي الوطني السياسي يكاد يكون منعدما نتيجة الخوف من قانون الاهالي. و الفكرة الدينية كانت هي السائدة و السياسة الغالبة أنذاك كانت سياسة التفرنس و الاندماج و قد دعا اليها المؤتمر الاسلامي الجزائري. فأ نصارالاندماج كانوا يعتبرون القضية الجزائرية قضية اصلاحات بينما حزب الشعب الجزائري كان يعتبرها قضية تحرير بالاعتماد على كافة أفراد الشعب دون تمييز. و اذا كان التيار الثوري الوطني يعتمد على اساس قومي لانهاض الشعب فان التيار الاصلاحي يعتمد على العقلانية المستمدة من الغرب. (75)

---

(73) احمد توفيق المدني مرجع سابق الصفحة – 13 –
(74) نفس المرجع الصفحة –159–
(75) محمد قناش مرجع سابق الصفحة –87–

الفصل الثاني

ظهور
جبهة التحرير الوطني

المبحث الاول

العوامل المساعدة على ظهور الجبهة

ساعدت جملة من العوامل الداخلية والخارجية على ظهور جبهة التحرير الوطني كتنظيم سياسي عسكري ذي صبغة ثورية التزم مبدأ الحياد إزاء طرفي الحركة الاستقلالية "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" المتنازعين حول السلطة . يعد انشقاق هذا التيار من اهم الاسباب و أحد العوامل الرئيسية المساعدة على تكوين "جبهة التحرير الوطني" اضافة الى اشتداد الوضع الاستعماري بالجزائر نتيجة الهزائم العسكرية التي لحقت فرنسا في الهند الصينية ، هذا العامل المشجع على ظهور الجبهة يصنفه بعض الدارسين ضمن الظروف الخارجية المساعدة على تكوين "جبهة التحرير الوطني". فالعوامل التي ساعدت على ظهور الجبهة لها ارتباط وثيق بالبيئتين الداخلية والخارجية .

أ - الظروف الداخلية: لقد وحدت ظروف القمع والاضطهاد الاستعماري مواقف الشعب الجزائري حول قضيته اذ نص بيان اول نوفمبر على " ان الشعب الجزائري في اوضاعه الداخلية كان متحدا حول قضية الاستقلال والعمل " (1) وان ما آلت اليه حالة التيار الاستقلالي من ازمة سرع بتشكيلها ، فهذه الوضعية المتأزمة والمتسمة بالصراع داخل القيادة حول التسلط قضت على نشاط الحركة الوطنية وعلى حماس المناضلين اذ يضيف " فان حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود و الروتين , محرومة من سند الرأي العام الضروري" (2).

بحث الكثيرون من المهتمين بدراسة و تحليل الثورة الجزائرية و اتفقوا على اساس واحد و هو ان الازمة التي فجرت التيار الاكثر ثورية لم تكن بسبب صراعات ايديولوجية داخل قيادة الحزب وانما هي ازمة اشخاص ينتمون لحركة سياسية ثورية واحدة اختلفوا حول مسألة الالتزام السياسي بالشروع في العمل المباشر المسلح ، فعلى سبيل المثال يرى كل من العماد "طلاس مصطفى " و المقدم " بسلم الصدلي - من اصل سوري - انها ازمة بين اتجاهين (3) داخل حركة واحدة ، فالاتجاه الاول اعلن تأيده لرئاسة "مصالي الحاج " مدى الحياة مع منحه كل السلطات لتحديد الخط السياسي .

---

(1) بيان أول نوفمبر.

(2) نفس المرجع.

(3) العميد مصطفى طلاس و بسام العسلي - مرجع سابق- الصفحة -276-

وقيادة الحركة واصدار قرارات فصل ومن ابرز عناصره ' احمد مزغنة ' و 'مولاي مرباح ' الذين حضروا مؤتمر ' بهرنو' ببلجيكا من 13 الى 15 جويلية 1954 واتجاه ثان يجمع انصار اللجنة المركزية للحزب التي قررت في مؤتمرها المنعقد في 13 و 16 اوت 1954 لرد تهمة الانحراف اليهم من طرف مصالي وتأييد الخط السياسي الذي اقره المؤتمر الحادي عشر وتجريد مصالي واحمد مزغنة ومولاي مرباح من جميع المهام التي كان الحزب قد كلفهم بها واخيرا الغاء مؤتمر بلجيكا الذي ليس لمصالي اي حق في عقده . بينما 'فرحات عباس' حلل الازمة على انها اختلاف في طرق العمل بين جيلين حيث قال: ' ان الازمة قبل ان تكون ازمة قيادة واشخاص كانت على ما يظهر ازمة جيلين ، جيل صنع طويلا الادارة الثورية في ظل نظرية ترجع الى القومية وجيل كان يريد ان ينتقل فورا الى العمل المباشر' (4) يؤكد هذا التحليل الباحث الاجتماعي ' هواري عدي' الذي يرى في ازمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية صراع بين اعضاء الحزب للسيطرة على السلطة داخل الحزب اي الابحث عنها لغرض الاستراتيجية المرسومة لتحقيق الاستقلال – فالمركزيون ادانوا العمل المسلح فقد قال :' ان ازمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية هي صراع بين قوتين لهما مفهومين حول تحقيق الاستقلال ، واحدة تريد الطريق الثوري المسلح والاخرى تريد استنفاذ كل الطرق الشرعية القانونية اولا.' (5) لقد اختلفوا حول زمان تطبيق الاستراتيجية الثورية ، نفس الشيء حدث خلال احداث 8 ماي 1945 والتي كانت عبارة عن جزء من خطة الثورة الوطنية ولم يكن كل اطارات حزب الشعب الجزائري متفقين حولها بحيث ظهرت تعطيلات ولامبالاة في بعض المناطق .(6)

بعض الناس الذين عايشوا ازمة الحزب وكانوا ضمن تركيبته الاجتماعية يعيدون الازمة الى غرور الرئيس 'مصالي الحاج ' فلم يكن بالمناضل العادي بل كان يمارس ضغوطا على المناضلين بناء على ثوريته ومصداقيته كشخصية وطنية كان لها الفضل في تحريك الضمائر ودفعها الى اليقظة والتحرك في اطار وطني ثوري . وعبادة الشخصية التي اتهم بها 'مصالي ' لم تأت بمحض ارادته وانما هي انعكاس لمستوى الوعي السياسي في الاوساط التي تتلقى خطابه.(7) يعني هذا ان اوساط العمال من اصل ريفي اغلبهم ان لم نقل كلهم اميون –'فمصالي الحاج' لم يكن محاطا بشرطة او بصحافة حرة حتى يؤثر فيهم بل كان رئيس حزب مضطهد وملاحق ، وانضمام الجماهير لبرنامجه كانت تتم بارادتهم لأن برنامجه يتلاءم واحتياجات هؤلاء الحقيقية . لم يكن يسمح بالحديث عن السير الديمقراطي للعمل ورأيه كان هو الغالب والمأخوذ به .

---

(4) العميد مصطفى طلاس و بسام العسلي – مرجع سابق– الصفحة –278–

(5) HOUARI ADDI Opcit Page - 60 -

(6) IBID - Page - 61 -

(7) IDEM

يرى بعض المؤرخين ان جذور انقسام حزب ' حركة انتصار الحريات الديمقراطية ' بين مصاليين و مركزيين يعود الى مؤتمر 1947 ، فهذا المؤتمر قرر ابقاء حزب الشعب الجزائري في السرية واعطائه واجهة شرعية عن طريق تاسيس ' حركة انتصار الحريات الديمقراطية ' و التي تشارك في الانتخابات. ظهر اذن اتجاهين للمناضلين خلال هذا المؤتمر واحد يؤمن بالعمل المسلح الفوري و الثاني يحبذ اللجوء الى الطرق الشرعية القانونية بواسطة الحملات الانتخابية لتجذير الحزب أكثر و نشر برنامجه و يتفق مع هذا التحليل ماجاء به الدكتور ' محمد العربي الزبيري' الذي يعتبر ازمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية عبارة ' عن صراع بين جيلين : الجيل القديم الذي ألف الحياة السياسية و ما تتميز به من صراعات انتخابية حول عدد ضئيل من المقاعد في سائر المستويات و جيل الثورة الذي يدعو الى العنف و الكفاح المسلح '. (8)

اشار ' عباس فرحات' زعيم الاندماجيين ان الازمة التي ادت بالحزب الثوري الى الانقسام ثم الاضمحلال كانت بسبب التباين في طريقة التفكير واساليب الادارة حيث اورد رأي الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني المقيم بالقاهرة انذاك ، المتكون من 'محمد خيضر ' و 'احمد بن بلة ' حيث قالا: ' ان سنة 1954 كانت بالنسبة للحزب سنة ازمة داخلية نجمت عن نزاع قام بين اللجنة المركزية و'مصالي الحاج' الذي كان حينذاك رئيس الحركة الانتصارية وبسبب هذا النزاع القائم في رئاسة الحزب عائد الى تباين في التفكير واساليب الادارة . وكنا بين آثنتين اما التسيير الجماعي واما السلطة المطلقة 'لمصالي الحاج ' (9) . ان انفجار الازمة اثار في اوساط المناضلين مجادلات حول المشاكل السياسية الاساسية خاصة الكفاح السياسي العقيم الى العمل المباشر – انقسم الحزب على نفسه الى ثلاثة كتل هي انصار الرئيس -'مصالي الحاج' المركزيون ثم اعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل والتي استهدفت الكفاح المسلح والقضاء على النزاعات القائمة داخل الحزب .

اما 'محمد حربي' فقد تناقض في حكمه على الازمة حيث كان بين فكرتين متناقضتين ، من جهة اكد النزاع القائم بين الرئيس 'مصالي الحاج' واعضاء اللجنة المركزية لم يكن بسبب الصراع حول السلطة وانما بسبب تباين التوجهات العملية للكفاح المسلح وتقرير مصير الامة الجزائرية – وهو يتفق في هذا مع ما اورده 'عباس فرحات ' كما تقدم – ثم تدارك الامر وقال: ' انه حتى مارس 1945 ،بدأ الصراع يتجلى ويتضح اكثر بانه صراع حول السلطة لاغير.' (10)

(8) الدكتور محمد العربي الزبيري '<u>الثورة الجزائرية في عامها الأول</u>' الطبعة الاولى دار البعث للنشر و الطباعة – قسنطينة 1984– الصفحة –56–

(9) عباس فرحات مرجع سابق الصفحة –257–

(10) محمد حربي الجزائر 1954–1962 '<u>جبهة التحرير الوطني</u>' الاسطورة و الواقع ترجمة كميل قيصر داغر Edition J.A 1980

اذا كان الكتاب والمؤرخون السابقون نفوا ان يكون الصراع ايديولوجيا فان الباحثة 'مغنية الازرق 'تؤكد على ان اساس الصراع ايديولوجي بحيث قالت :' فالتعارض بينهما لم يكن حول مبدأ الاستقلال والنضال من اجله – وانما الصراع بينهما ايديولوجي ، فحركة مصالي الاستقلالية كانت تعتمد على البروليتاريا . المناضلة في قاعدة الحزب ، هذه الشريحة التي مالت نحو التنظيم الجديد تاركة التنظيم السابق المنشق دخلت في صراع ايديولوجي مع الاتجاهات الاخرى المنصهره داخل الجبهة خاصة النخب البرجوازية الحضرية والريفية.' (11)

فسرت 'مغنية الازرق ' الصراع على اساس طبقي تميز بتعارض المصالح بين الفئة الشغيلة والفئات البرجوازية صاحبة الامتيازات المادية . قد تكون هذه الاطروحة صحيحة لكنها لم تظهر على ارض الواقع بشكل علني وهذا ما يجعلنا نستبعد هذا التفسير الطبقي لصراع الحزب الثوري . ما يستحسن ذكره ان هذا الاتفاق الظرفي والحتمي في نفس الوقت لم يقض بصفة نهائية على التناقضات الداخلية للحركة الوطنية والمتجمعة حول الفكرة الوطنية. لقد تعايشت من اجل هدف واحد 'الاستقلال ' وقبل تحقيق هذا الهدف انفجرت هذه التناقضات الداخلية في مؤتمر الجبهة التأسيسي بتاريخ 20 اوت 1956 ، عقد هذا المؤتمر بوادي الصومام لتنظيم الثورة ووضع برنامج عمل وهياكل للثورة .

فهذه الوضعية المتأزمة والمتسمة بالصراع داخل القيادة حول السلطة قضت على نشاط الحركة الوطنية وعلى حماس المناضلين اذ يضيف بيان اول نوفمبر' فان حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين محرومة من سند الرأي العام الضروري.' (12) وقد وضع البيان المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات موضحا ذلك فيما يلي' فاننا توضح بأننا مستقلون عن الطرفيين الذين يتنازعان السلطة ، ان حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية قبل كل الاعتبارات التافهة والمغلوطة ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية ان يمنح ادنى حرية ونظن ان هذه الاسباب كافية لجعل حركتنا التجديدية تظهر تحت اسم جبهة التحرير الوطني .' (13)

جمعت جبهة التحرير الوطني في دائرتها كل الاتجاهات الوطنية ومختلف الشرائح الاجتماعية خاصة الفئة الريفية الفلاحية منهم لتحقيق هدف واحد سطرته في برنامجها السياسي وهوالاستقلال الوطني بواسطة :

---

(11) مغنية الازرق مرجع سابق الصفحة –79–

(12) بيان اول نوفمبر.

(13) نفس المرجع.

- اقامةالدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن اطار المبادئ الاسلامية .
- احترام جميع الحريات الاساسية دون تمييز عرقي أو ديني .

أصبحت جبهة التحرير الوطني المنظمة الوطنية الحقيقية والوحيدة ، فصارت تنظيما سياسيا وعسكريا فعالا بفضل المبادئ التالية

- منع النفوذ الشخصي واقرار مبدأ الادارة الجماعية .
- الاستنكار النهائي لتقديس الشخصية والكفاح العلني ضد عملاء الادارة الاستعمارية .

ومع ذلك تبقى ازمة 'حركة انتصار الحريات الديمقراطية' وعقم المقاومة السياسية اهم العوامل الداخلية المشجعة والدافعة لظهور جبهة التحرير الوطني. هذه الازمة التي احدثت انقساما داخل هذه الحركة: - والتي تعد من اكثر الاحزاب الوطنية شعبية - كانت بسبب الصراع حول السلطة داخل الحزب بين رئيسها 'مصالي الحاج ' واعضاء اللجنة المركزية. وصار الخلاف حادا خاصة بعد قرارات المؤتمر الثاني للحزب .فهذا الانشقاق خلف ثلاثة تيارات متناقضة داخل الحركة الوطنية - سبق ذكرهم - وهم المصاليون - المركزيون - مؤسسو جبهة التحرير الوطني ، بحيث اقتنعت هذه المجموعة الثالثة والمحايدة عن الجانبين المتصارعين بأن الكفاح المسلح حتمي وهو المخرج الوحيد للبلاد من ازمتها الكبرى ازمة الاحتلال وازمة الانقسام داخل التيار الثوري . فقد اكد الكاتب 'محفوظ بنسون ' ان اندلاع الحرب التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 كانت نتيجة سلسلة من التناقضات الناتجة عن الوضع الاستعماري والحصر السياسي المتولد من طبيعة القانون الممنوح للجزائريين من طرف المجلس الوطني الفرنسي عام 1947 ، خاصة المعارضة الشديدة لكل اصلاح يرمي الى تغيير النظام الاستعماري لصالح الجزائريين .(14) ويتفق معه في ذلك الدكتور 'محمد العربي الزبيري' الذي من جملة ما يذكر ان اهم العوامل المساعدة على الثورة التحريرية هي كالآتي:(15)

- اختلاف اصول المعمرين وعمل كل فئة على خدمة مصالحها الخاصة أو مصلحة وطنها الأم .
- تكوين طبقة من المستغلين الجزائريين تهدف الى تهدئة الجو وابقائه لصالح شلة من المعمرين من جهة والى ابتزاز خيرات الأهالي للعيش في بحبوحة من جهة اخرى.
- توالي الانتخابات المزيفة ابتداء من تلك التي تمت على مستوى الدوائر عام 1949 الى تلك التي اجريت على مستوى البلديات عام 1953.

(14) Mahfoud BENNOUNE 'L'Algerie et la Modernité' <Les fondements Socio-Historiques de l'Algerie> Sous la direction de Ali EL KENZ Serie des livres du Codesria - DAKAR- SENEGAL -1989- Page -51-

(15) الدكتور محمد العربي الزبيري مرجع سابق الصفحة -54/55-

- عودة الوعي القومي نتيجة اتساع الهوة بين السكان الاصليين والاوربيين الغزاة .ولقد كان تزمت هؤلاء هو العامل الرئيسي في جعل الجزائريين يشعرون بهويتهم الحقيقية ويميلون الى العمل من أجل استرجاع سيادتهم بدلا من الجري وراء مطالب الاندماج والمساواة الوهمية .

خلاصة القول ان ازمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية افرزت ثلاثة اتجاهات متناقضة ايديولوجيا ومتباينة فكريا وحتى من ناحية العمل والوسائل ومن الناحيه الاجتماعيه او الانتماء الطبقي . وقد اختلف الكتاب في تسمية هذه الاتجاهات المتباينة منهم من اطلق عليها اسم "الكتل"(16) كما هو الحال لدى الكاتب "عبد الرحمن بن ابراهيم ابن العقون " وقد اخذت هذه التسمية مصدرها من عملية التكتلات التي حدثت بين اعضاء الحزب حيث يتشيع لكل فئة انصار منهم كتلة الرئيس وكتلة اللجنة المركزية والكتلة الحيادية ومنهم من نسبها الى اصحابها كما هو الحال لدى المؤلف التاريخي محمد حربي . المصاليون - المركزيون ومؤسسو جبهة التحرير الوطني .

أ- المصاليون: فقدت الحركة المصالية مصداقيتها ولم تعد منطلقاتها الايديولوجية الاولى مجديا بسبب الصراعات الداخلية التي اثرت على بنيتها الاجتماعية والهيكلية،(17) فقد فقدت اغلبية الاعضاء في اللجان القاعدية .وخلال مؤتمرهم بهورنو (ببلجيكا) ناقشوا مسألة تصفية وتطهير الحزب من المركزيين وتعديل الهياكل القيادية . اما التغيرات الهيكلية ،فقد شملت اللجنة المركزية التي عوضت بمجلس وطني للثورة ، بنيتها الاجتماعية ضمت من التجار الصغار والفلاحين المتوسطين والعمال الذين احترفوا السياسة وهم من فئات مختلفة المنشأ . فهذه الفئة العاملة ظهرت نتيجة عملية التفقير المطلقة للفلاحين الصغار بحيث ان الهيمنة الاستعمارية بمهاجمتها بنيات المجتمع التقليدي قد خلقت عوامل تكون طبقات اجتماعية جديدة عن طريق محاولتها استبدال البنيات الضيقة والمحدودة -اي العشائر - بهياكل اجتماعية مغايرة تماما لتلك البنيات التقليدية.وقد مست هذه التغيرات حتى بعض العادات والتقاليد كالتضامن والجهاد (18) وهي احدى المعتقدات الايديولوجية للمجتمعات التقليدية في الجزائر .وعليه فان عملية تحويل الانظمة العقارية التقليدية والنشر المجحف للايديولوجية الامبريالية القائمة على تفضيل المعرفة المكتوبة على حساب المعارف الشفوية وتغيير الاسس المقدسة للسلطة(19).

---

(16) عبد الرحمان بن براهيم بن عقون مرجع سابق - الصفحة -402-

(17) محمد حربي مرجع سابق الصفحة -99-

(18) Souad MOKDAD 'Domination Coloniale et Rupture Nationale' Office de Publications Universitaires -Alger- 1984 Page -36-

(19) Idem.

بحيث ان السلطة الاستعمارية خلقت نظام العقود للملكيات بينما الامر السائد من قبل كانت الاعراف هي التي تحدد الملكيات الخاصة وكانت لكل قبيلة سلطة محلية على مجموعتها الاقليمية . فبادخال هذه الانماط الجديدة لتنظيم الملكية العقارية والسلطة كانت العوامل الاولى والقواعد الاساسية التي تشكلت على اساسها الطبقات الاجتماعية في الجزائر .

الا اننا لا يمكن ان نقول ان هناك اقرار واضح وصريح بوجود طبقات في الجزائر سواء اثناء الفترة الاحتلالية او بعدها وهذا لأسباب نعالجها فيما بعد . فخلال الحرب التحريرية الوطنية تواجدت بالجزائر ، طبقتان متنازعتان هما الشعب الجزائري والمعمرين الاوربيين الغزاة وكانت لهما مصالح متناقضة ولذلك لم تطرح المسألة في اطار جبهة التحرير الوطني ربما لاسباب تكتيكية بحيث ان معالجة التناقض الرئيسي الذي وضع الجزائريين المستعمريين في مواجهة الاوربيين المستعمرين تطلب ضرورة اتحاد كل القوى الاجتماعية حول هذا الهدف – كان الحرص على مبدأ الوحدة الوطنية هو المسيطر – اما المكتب السياسي فكان مزيجا من الفئات المختلفة اجتماعيا ووظيفيا .(20) وهذا يعني ان القيادة لم تقتصر على فئة اجتماعية متميزة وانما خليط من الافراد من فئات اجتماعية متباينة الاصول واغلبية اعضاءها من سكان المدن الكبرى بينما التركيبة الاجتماعية لمؤسسي الجبهة فيغلب عليهم العنصر القروي.(21)
كان المصاليون يكنون العداء للمثقفين –والذين بحكم المفهوم الماركسي يصنفون ضمن الطبقة المتوسطة الضعيفة والتي تتشكل من المعلمين وموظفي القطاع الخاص والعام – وهذه الطبقة تنقسم الى قسمين :
قسم الطبقة العالية المشكلة من العسكريين والاطارات السامية والوسطى للقطاعين العام والخاص واصحاب المهن الحرة وقسم الطبقة المتوسطة الضعيفة التي سبق الحديث عنها وهذين القسمين يقعان تحت اسم ' المثقفين ' كما هو الحال في الفكر الماركسي -فهؤلاء تهربوا من مسؤولياتهم اتجاه الوضع الاستعماري واثبتوا فشل سياساتهم الاندماجية وافكارهم الانهزامية – فقد فشل فرحات عباس ونخبته وحتى العلماء عام 1946 في اقناع الادارة الاستعمارية باعطاء الجزائريين بعض الحقوق السياسية التي تمكنهم من اكتساب حق المواطنة الفرنسية .– نتيجة السياسات الفاشلة التي اثبتها المثقفون آمنت الطبقات الاجتماعية الدنيا باسلوب 'مصالي الحاج ' واقتنعت بافكاره الشعبوية – كأن التنافس قائما داخل التيار الاستقلالي بين وطنيين تبنوا الطريق الثوري والاسلوب المباشر لكنهم يفتقدون لاستراتيجية محكمة نابعة من معرفة عالية وثقافة سياسية واسعة وبين مثقفين برجوازيين انتهازيين نصبوا انفسهم اولياء على الشعب يميلون للافكار الاصلاحية وينادون بادخال تحسينات اقتصادية واجتماعية للوطن .
هل يمكن ان نتحدث عن اختلافات طبقية او صراعات طبقية داخل حزب 'حركة انتصار الحريات الديمقراطية' ؟

---

(20) محمد حربي مرجع سابق الصفحة –100–
(21) نفس المرجع و نفس الصفحة.

(18) Souad MOKDAD , Opcit Page - 43 -

اجاب بعض الباحثين عن هذا التساؤل ومنهم 'محمد حربي' مؤكـدا ان العناصر الموالية "لمصالي" وحتى القادة لم يكونوا واعين بانتماءهم الطبقي ولم يكن نضالهم على هذا الاساسي وانمـا كان نضال ضد محتل اجنبي ، لذلك فـان العداء لفئـة المثقفين لـم يكن يعبر عن صراع طبقي داخل المجتمع الجزائري بصفة عامة وداخل الحركة الوطنية بصفة خاصة . فالواقع اثبت انه خلال الازمة التـي عرفها الحزب لم ينقسم الى فئة مثقفة واخرى عديمـة الثقافـة ، فقد انقسم المثقفـون مثـل القـادة العاديين الـى معتدلين وراديكاليين ، بينمـا الاطـارات المنحـدرة اجتماعيا كـانت تـرى فـي العداء ضد المثقفيـن فرصـة مناسبة في الهرم الحزبي .

المركزيون:

انحدر القادة المركزيون من الاوساط البرجوازية الصغيرة والبرجوازية المهتمة بالاشراف الدقيق على المشاركة الشعبية في النضالات السياسية وكانت عناصرها اقل تجانسا من التركيبة الاجتماعية لخصومهـا ، سميت بالبرجوازية الصغيرة – لكن المثقفين يشكلون الاغلبية فيها (23) ' بن يوسـف بـن خـدة وعبد العزيز بوتفليقة صيدليان – كيوان محام وجيلاني مدرس و'فروخي ' حـائز ديبلـوم دراسـات عليا علوم اسـلامية و'بلعيد عبد السلام ' طالب طب و ' سعد دحلب ' صحفي و'مـهري عبد الحميد ' (مدرس ن عربية) و'محمد يزيد ' و'عبد المالك بن حبيلس ' طالبا حقوق وبعـض الموظفين العموميين ' تمام - عيسـات ايدير ' والفلاحون الاغنياء 'بوقادوم الصالح '- 'معيزة ' والتجار 'راجيـــــــف ' و'الاحول' وبولحروف' مـن اصل برجوازي صغير تجاري بالاضافة الى العنصر الشعبي 'بودة – سيد علي' يملكون مستوى ثقافي رفيع نسبيا .

مؤسسو جبهة التحرير الوطني:

ظهرت جبهـة التحريـر الوطنـي بصورة علنية فـي اول نوفمبر مـن عـام 1954 ،لكنها نشـأت فـي 23اكتوبر1954 اي في نهاية اجتماع لجنة الستة تشكلت الجبهة على ثلاثة مراحل: (24)

– ضمت اللجنة الثورية للوحدة والعمل في البداية مؤسسي الجبهة والمركزيين الى جانب انصار العمل المباشر (مصطفى بن بوالعيد – محمد بوضياف) ثم انضمت اليهم مجموعة الاثنين والعشرين (22) ثم البعثة الخارجية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية (ايت احمد حسين – احمد بـن بلـة ومحمد خيضر الذين كانوا بالقاهرة) بالاضافة الى ولاية القبائل والتي رغم انضمامها الى الجبهة بقيت مرتبطة بمصالي حتى عام 1956 .

---

(23) محمد حربي مرجع سابق الصفحة -101/102-

(24) نفس المرجع السابق الصفحة - 104-

كانت الجماعة المؤسسة لجبهة التحرير الوطني ترى ان الوعي الثوري وان بداية الثورة في الجزائر كانت مع احداث 8 ماي 1945 التي يعتبرها الكثير من المؤرخين مشروعا ثوريا لم ينجح في قيادة الشعب نحو الطريق لكنه مهد الطريق امام العمل المباشر واعطى قناعات لاعضاء الحركة الوطنية وحتى لكل الشعب الجزائري بان السبيل للتحرر هو الكفاح المسلح خاصة ما لحق بالحركة الوطنية من تعسفات كفشل المسار الانتخابي عام 1947 لكن مع ذلك فان قيادة 'حركة انتصار الحريات الديمقراطية' رفضت الاستفادة منه خوفا على مصالحها ،وقد عززت رغم ذلك، احداث 8 ماي 1945 ، صفوف الحزب بحيث عرف حركة انخراطات واسعة في الهياكل القاعدية للحزب، لان الشعب كان يثق به وبرجاله ثقة تكاد تكون مطلقة ولم تنل من هذه الثقة اعمال القمع التي اعقبت حوادث 8ماي 1945 ولهذا انتصر الحزب في الانتخابات التشريعية والبلدية في نوفمبر 1946 والتي كانت عبارة عن استفتاء حقيقي لفائدة الفكرة الوطنية.

ان الدارسين للجانب السوسيولوجي للثورة الجزائرية ينسبون جبهة التحرير الوطني للطبقة البرجوازية الصغيرة بحكم ان اغلبية مؤسسيها من هذه الطبقة وهي تعبير عن مصالحهم ومطالبهم السياسية – هذه الاحكام ليست صحيحة وقد عارضها 'جان فرانسوا ليوناردو' بالدفاع عنهم وتمييزهم عن الطبقة البرجوازية الصغيرة بقوله' فهم رجال متميزون ايديولوجيا وسياسيا عن البرجوازية الصغيرة ، فنظرتهم للاقتصاد تختلف ونظرة البرجوازية الصغيرة فهم يحتقرون كل الذين يريدون التشبه بالبرجوازية الصغيرة الفرنسية.' (25)

ظهرت اذن الجبهة لتوحيد كل تيارات الحركة الوطنية وتبنى برنامجها السياسي هدفا واضحا فكانت الوسيلة واضحة وهي الكفاح المسلح وجعلت هذه الاحزاب المتناقضة تتخذ موقفا حازما وحاسما فاما التخلي عن انتماءاتها السياسية نهائيا والذوبان داخل التيار الثوري او تدعيم علاقاتها اكثر بالحركة الاستعمارية .

اذا كانت الظروف الداخلية محركة للتيار الثوري يفضل نضج الوعي لدى المناضلين وقادة الحركة الوطنية والذي تجلى في اقناع الاغلبية منهم بالكفاح المسلح لان المطالبة الديلوماسية بالاستقلال لم تفلح، فالحوار والتفاوض والجلوس الى طاولة المباحثات الديماغوجية ادت الى الوعود بالاصلاحات فقط .

(25) الدكتور يحي بوعزيز مرجع سابق الصفحة -77-

-- الظروف الخارجية:

اذا كان الوضع الداخلي قد تميز بظهور الوعي وتوسع الفكر الثوري بين القادة والمناضلين فان الاوضاع على المستوى العربي والعالمي صارت كلها مواتية لاعداد الثورة المسلحة – فالنسبة للمحيط العربي ، كان الوضع يتميز بدخول كل من تونس والمغرب في حرب ضد الوجود الاستعماري الفرنسي مما جعل الشعب في الجزائر يتحمس لنضال البلدين . تحمس الشعب الجزائري بشدة لنضال الشعبين التونسي والمغربي مما جعل وزير الداخلية الفرنسي أنذاك 'فرانسوا ميتران' يقول: " نعـــــم إن حوادث المغرب وتونس خطيرة ولكن ما هو أشد خطرا منها هو الهدوء السائد في الجزائر الآن."(26) أما في المشرق العربي فإن الوضع كان مشجعا لأي عمل عربي تحرري وذلك لما أصبحت عليه مصر بعد ثورة 23 يوليو1952 'حركة الضباط الأحرار' التي جعلت من مصر في ذلك الوقت قبلة العرب بفضـــــل سياستها التحررية الوحدوية. وكانت النواة الأولى لجبهة التحرير الوطني " اللجنة الثورية للوحدة والعمل" مدركة لأهمية المساعدة العربية ، فأوفدت وفودا عنها للاتصال بالحزب الدستوري في تونس وحزب الاستقلال في المغرب لتنسيق الثورة على صعيد المغرب العربي وفي القاهرة تم تنسيق الاتصالات والحصول على ضمانات بالمساعدة من 'جمال عبد الناصر'الذي اقتنع بعزم الجزائريين على الثورة . وعبر البيان عن الموقف العربي والاسلامي المرتقب من الثورة." قضيتنا التي (27) ستجد سندها الديبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين ." مضيفا :" أن أحداث المغرب وتونس لهـا دلالتها في هذا الصدد فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحرري في شمال إفريقيا ."(28)

شجع الوضع الدولي بصفة عامة ووضعية فرنسا العسكرية بصفة خاصة على طرح القضية الجزائرية على الرأي العام العالمي من جهة والانتقال الى المواجهة المباشرة المنظمة ضد الاحتلال من جهة أخرى . فمع إنتهاء الحرب العالمية الثانية ظهرت معادلات جديدة أهمها الانقسام الدولي الى معسكرين : المعسكر الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفياتي والمعسكر الليبيرالي الغربي الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية . تميزت هذه الفترة التاريخية بتصاعد الصراع الايديولوجي بينهما وهو ما عرف في عالم السياسة – بالحرب الباردة – مما جعل الأمم الحيادية تحرص على السلم خوفا من إندلاع حرب عالمية ثالثة – تكون من دون شك – حربا مدمرة انتحارية .

---

(26) عباس فرحات مرجع سابق الصفحة –228/229

(27) بيان اول نوفمبر

(28) نفس المرجع.

وذلك نظرا لتطور الوسائل الحربية بسبب السباق نحو التسلح ،فالرأي العام العالمي . كان شديد التمسك بفكرة الحفاظ على السلم والامن الدوليين .مع هذا الحرص الكبير على السلم تنامى التيار الثوري التحرري ونضج اكثر وصار مهيئا للمطالبة بالاستقلال والتخلص من الهيمنة الاجنبية . وقد تنبه محررو بيان اول نوفمبر لأهمية ذلك – في دعم المد الثوري بالجزائر حيث جاء: ' ...اما في الاوضاع الخارجية فان الانفراج الدولي مناسب لتسوية المشاكل الثانوية التي ستجد سندها الديبلوماسي خاصة عند اخواننا العرب والمسلمين .'(29)

اذا كان الوضع الدولي ملائما ومواتيا لطرح القضية الجزائرية فما هو الوضع العسكري والسياسي لفرنسا في مستعمراتها ؟

وجدت حكومات باريس المتتالية نفسها مرغمة على التخلي عن مستعمراتها في بعض المناطق من آسيا بعد الحرب العالمية الثانية مع حرصها على المحافظة على مصالحها الاقتصادية في البلدان التي نالت استقلالها السياسي – كما هو الحال في سوريا ولبنان والذين كان استقلالهما يعتبر بداية تفكك الامبراطورية الفرنسية ،هذه الاخيرة التي كانت تقوم سياستها على مبدئين: (30)

أ – العمل دائما على توسيع امبراطوريتها الاستعمارية التي تستفيد منها اقصى حد سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية .

ب – توحيد سياستها الاستعمارية في كل مكان .

ولما تحرك المد الثوري في مستعمراتها فان فرنسا لم تشعر بانها في خطر وانها في مأمن من اي تذمر محتمل من طرف الرأي العام العالمي الذي لم يكن يهتم بمصير المستعمرات ولذلك كانت تقمع بالعنف والشدة كل نزوع الى الاستقلال او التحرر الوطني كما حدث في حرب الريف . واذا كانت فرنسا تسلك كل السلوكات الوحشية في مستعمراتها فلأن قضية تحرير الشعوب المستعمرة لم تبسط امام الرأي العام الدولي بمثل الدقة والوضوح الذين بسطت بهما بعد الحرب العالمية الثانية والتي كان من نتائجها أن آستقلت شعوب كثيرة وتصدعت الامبراطورية الفرنسية ، بعد أن ظن منظرو الاستعمار الفرنسي أن رياح الحرية التي هبت لن تمس مخططاتهم الرامية لتجذير الاحتلال وتكريسه خاصة بالشمال الافريقي الذي رغبت في الاحتفاظ به للأبد . لقد أثرت هزيمة فرنسا العسكرية في حرب الفيتنام خاصة في المعركة التاريخية 'ديان بيان فو' كثيرا على الشعب الجزائري . غير أن الأسباب الفعلية أو الحقيقية لظهور الجبهة وقيادتها الثورة التحريرية كانت الوضعية الاقتصادية الاجتماعية المزرية التي أثرت على عزيمة الشعب الجزائري بالايجاب إضافة الى أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية وانقسامها حول مبدأ القيادة الى كتلتين متنازعتين .

---

(29) بيان اول نوفمبر.

(30) الدكتور يحي بوعزيز مرجع سابق الصفحة –153–

المبحث الثاني

القاعدة الايديولوجية للجبهة

انطلق مؤسسو جبهة التحرير الوطني من فكرة أساسية وثابتة قامت على أساسها الثورة الشعبية وكانت هذه الفكرة الثورية المباشرة تدعو اليها الحركة الوطنية الاستقلالية (نجم شمال إفريقيا – حزب الشعب الجزائري –حركة انتصار الحريات الديمقراطية) وهي أن الاستقلال لن يأتى إلا بالحرب وأن ما أخذ بالقوة لا يسترجع الا بها . وقد أدانوا كل الاتجاهات الوطنية الاصلاحية سواء للأحزاب المحافظة أو الأحزاب الاندماجية " لفرحات عباس " وكذا العلماء والحزب الشيوعي الجزائري ثم أعضاء اللجنة المركزية الذين تنازعوا السلطة مع الرئيس "مصالي الحاج " فهؤلاء كانوا يؤمنون بتحقيق المطالب الاجتماعية كمرحلة أولى لتحقيق المطالب السياسية بينما مؤسسو جبهة التحرير الوطني كانوا يؤمنون بحل واحد وهو الكفاح المسلح ، وكانوا يعارضون مبدأ الانتخابات ويرفضون الوحدة مع الاحزاب التي لا تنوي الشروع في العمل المباشر والذي كان يهمهم هو إنهاء الوضع الاستعماري بالجزائر ثم مناقشة مستقبل الجزائر المستقلة فيما بعد ،بينما التيارات البرجوازية كانت تطالب بالحريات العامة والفردية حتى تتحرك ولكن ليس لصالح الوطن وإنما لصالح أصحاب الامتيازات لدى الادارة الاستعمارية . لكن الطابع الارهابي والقمع المتصاعد للمستعمرين عزز موقف الثوريين واقتنعوا به وتخلوا عن مصلحتهم لصالح الجماعة أي خدمة لمجموع الشعب الجزائري – لجأت الجبهة الى وسائل متعددة لاقناع الأوساط الشعبية فأعتمدت على الخطاب الديني كعامل مقنع وفعال لكل الفئات الشعبية خاصة الفئات الفلاحية المتمسكة بالدين ،فآمنت بالجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة شرعه بدلا من القوانين الاستعمارية المجحفة . كانت جبهة التحرير الوطني تعتمد على مساعدات العرب أما بالنسبة لتعاطف الغرب مع الثورة الجزائرية لم يكن أمرا واقعا بحيث كانت القيم الرأسمالية المستغلة للشعب الجزائري وخاصة لدى الفئات الريفية مرفوضة تماما .

نستنتج من خلال ما تقدم أن إيديولوجية الجبهة إيديولوجية وطنية ثورية ومعادية للإمبرالية والإستعمار ومساندة لكل الحركات التحررية وكان قادتها يعتبرون الأمة الجزائرية من الأمم القديمة في التاريخ وقد أثبت هذا أيضا الشيخ "ابن باديس " حين رد على زعيم الإندماجيين "فرحات عباس " الذي نفى وأنكر وجود كيان جزائري قبل دخول فرنسا الجزائر .

ولذلك رفضت العناصر الاوروبية المتواجدة ضمن الأمة العربية الإسلامية الجزائرية – فهي تعتمد على الفئات الشعبية في قيادة الثورة وتتبنى برنامجا سياسيا يخدم الشعب أولا وأخيرا وهذا التيار الشعبوي هو الذي هون على أغلبية الشعب مصابهم واندفعوا جماعيا للمشاركة في الحرب التحريرية خاصة فئة الفلاحين الريفية . ما يميز هذه الجماعة عن بقية أحزاب الحركة الوطنية هو أنها كانت تكن العداء للقادة الذين تسببوا في إنقسام حركة انتصار الحريات الديمقراطية وخاصة رئيسها 'مصالي' وللذين انضموا لحركته الجديدة 'الحركة الوطنية الجزائرية' التي أنشأها لمنافسة جبهة التحرير الوطني وانحرفوا عن إتجاههم لصالح إتجاهات أخرى ومنها نشأت عدم الثقة بهم حين عادوا ليلتحقوا بالجبهة . ورغم تحالف مؤسسي الجبهة مع أعضاء اللجنة المركزية في مواجهة 'مصالي' إلا أنهم لم ينقـ ـوا لا باتجاه المصاليين الذين أرادوا حسم الخلافات السياسية قبل البدء بالكفاح المسلح ولا بإتجاه المركزيين الذين رأوا أن الوقت غير موات للشروع في الثورة .

طرح برنامج الجبهة العمل المسلح ولم يطرح المشاكل الداخلية للحزب والقضايا السياسية المتعلقة بها إلا بعد أن يتم تحرير الجزائر .

كانت الأطروحة الأكثر رواجا حول أصل جبهة التحرير الوطني هي أن اللجنة الثورية للوحدة والعمل هي نواة الثورة وبالتالي القاعدة الإجتماعية التي تشكلت منها الجبهة وكان يؤيد هذا الرأي المركزيون بينما 'أحمد بن بلة' و'كريم بلقاسم' لم يكونا يؤمنان بهذه الحقيقة بينما المصاليون يعتبرون أنفسهم أصحاب الفكرة الأصليين (31) وبذلك فالكفاح المسلح يعود إليهم أصلا وكانوا يرون في اللجنة الثورية للوحدة والعمل ستارا تختبئ وراءه اللجنة المركزية . لكن ما هو ثابت وحقيقي أن مؤسسي جبهة التحرير الوطني عملوا على تجميع كل القوى الحية من أجل تحرير الوطن أولا وقبل كل شيء . وقد أكد هذا المناضل 'محمد خيضر' في رسالته بتاريخ فيفري 1955 : ' هذا النضال الذي ينبغي أن يكون لـــه غير مآل واحد ، إستقلالنا يحتاج الى كل الطاقات من أجل أن يكون فعالا.'(32) فهذا النداء سهل العمل لكل الراغبين في العمل المسلح من أعضاء حركة انتصار الحريات الديمقراطية وأعطاها فرصة لإعادة تجميع كل القوى الحية في البلاد وقد وضع بيان أول نوفمبر 1954 شرطا أساسيا للإنضمام للجبهة وهو التخلي عن الطرفين المتنازعين : ' نحن مستقلون عن الجماعتين المتنازعتين على السلطة.' (33)

(31) محمد حربي مرجع سابق الصفحة –107–

(32) نفس المرجع السابق الذكر و نفس الصفحة.

(33) بيان اول نوفمبر.

وما يمكن ذكره بهذا الشأن أن الأهداف الآنية لمؤسسي جبهة التحرير الوطني تفرض عليهم كتمان الأمور والتستر على كل الجدالات والنزاعات التي حدثت على مستوى القيادة في الحزب بسبب الإختلافات السياسية بين الرئيس 'مصـــــالي ' وأعضاء اللجنة المركزية حتى لا تزعزع ثقة المناضلين بالقادة الجدد الذين آختاروا العمل المباشر . كانت الإشكالية العامة في الجزائر بخصوص الوضع الإستعماري بها تطرح -خاصة بعد حوادث 8ماي 1945 فرضيتين أساسيتين هما : هل القضاء على سيطرة المعمرين على كافة المجتمع الجزائري وتحكمهم في زمام الأمور الإدارية ؟ أم تدمير النظام الإستعماري الذي أوجد هذه الفئة الدخيلة على المجتمع الجزائري والتي صارت تتحكم في كل شؤونه إبتداء من حق الحياة لحق اقصاء هذا الحق دون محاكمة ؟ وفرضت عليه وضعا إقتصاديا وإجتماعيا وثقافيا و إستعماريا قائما على العنف والقهر والتجويع والتهجير والإبادة الجماعية ضاربة حقوق الإنسان وإحترامها عرض الحائط .

الإشكالية هنا والفرضيات هي نفسها لأن الإستراتيجية الإستعمارية العامة هي التي أوجدت هذه الأداة لتحطيم الشعوب والتسلط على ممتلكاتهاالطبيعية والعقارية ولذلك فإن القضاء على أداة الإستعمار معناه القضاء على قوته وهزمه – فالمعارضة التي كانت تبديها الأقلية الأوربية بالجزائر ضد كل مشروع إصلاحي يقترحه حكام فرنسا لإمتصاص الغضب الشعبي وتصحيح بعض الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية كقانون التجنيس والإدماج في المجتمع الفرنسي وإعطاء بعض الحقوق السياسية للجزائريين خاصة إنتهاكات قانون الجزائر لعام 1947 والذي قضى عليه قبل تطبيقه وتزوير الإنتخابات البرلمانية عام 1948 . كل هذه العوامل أقنعت الجزائريين بضرورة القضاء على سيطرة المعمرين ومنها تدمير النظام الإستعماري وضرورة التخلي عن فكرة تحقيق الإستقلال عبر مراحل وبالتدريج .

حاول المركزيون تعطيل العمل المباشر حين سعوا للمصالحة مع الإستعماريين وقضاء على 'مصالي' على أسلوبهم الجديد وفتح المجال أمام العمل المباشر فقد نادى القاعدة النضالية بقطع كل علاقة مع اللجنة المركزية التي تخلت عن مبادئها الثورية وسعت في طريق إصلاحي وبما أن نفوذ 'مصالي 'كان الأقوى فقد أزاح كل العقبات أمام العمل المسلح وآنتصرت الفكرة الوطنية الثورية على كل الإتجاهات الإصلاحية التي بدأت تنضم الواحدة تلو الأخرى لجبهة التحرير الوطني .

ان جبهة التحرير الوطني نتيجة حتميه لما آلت إليه "حركه انتصار الحريات الديمقراطيـة" وتبذت الكفاح المسلح وكان لابد من تجنيد قوة عسكرية من بين أعضاء "حركة انتصار الحريات الديمقراطيـة" الذين آمنوا بالعمل الثوري المباشر وآعتمدت في ذلك على الفلاحين الذين كانوا حربة الثورة الأولى ولذلك كانت إيديولوجية الجبهة شعبوية تقدمية ويجد هذا الحكم تأييده في تحليل الباحثة "ســعاد مقـداد" التي أكدت على أن التحليل الماركسي لايعتبر الفلاحين الفقراء طبقة إجتماعية لكونه أعتمد في تحليله لنمط الإنتاج الرأسمالي على صراع طبقتين متنازعتين هما : البرجوازية والبروليتاريا ، بينما الحركات الوطنية أكدت على أن الفلاحين الفقراء يمثلون مجموعة إجتماعية يمكنها أن تحدث تغييرا إجتماعيا عميقا ووفق مبدأ تقدمي أو إتجاه تقدمي (34) وهذه الإيديولوجية التقدمية مستمدة من معتقدات الفئات الفلاحية الفقيرة والتي ترتكز على الإعتزاز بالشرف والذي يعني الوحدة بين القبائل أو العشائر ويعني هذا بدوره توسيع هذا المفهوم الوحدوي لكل القبائل والأرياف لمواجهة الإحتلال الأجنبي والدفاع عن الوطن . وما يؤكد أنها إيديولوجية تقدمية أنها تعمل على إنهاء العلاقات القبلية التي أراد الإحتلال توطيدها بإغراء القبائل المتعاونة معهم وإقامة دولة حديثة لأنها الهيئة الوحيدة التي تشجع العمل الوحدوي وتنظمه كما تنظم علاقات الأفراد وتحددها وتعيد توزيع الثروات على الجميع بشكل متكافئ و تشرف على تسيير شؤون الأمة .

أعلن بيان أول نوفمبر بوضوح عن أهداف الجبهة الداخلية والخارجية وقد حققت هذه الأهداف ماعدا هدف الوحدة لشمال إفريقيا لم تبلغه حتى الآن ولو أن السنوات الأخيرة شهدت محاولات وحدوية مغاربية آنحصرت في مستوى الإجتماعات الدورية للإتحاد المغاربي في كل أقطاره دون تحقيق أهداف التكامل الإقتصادي والثقافي أو غيره .

(34) Souad MOKDAD , Opcit Page - 46 -

المبحث الثالث

التفاعلات الإجتماعية داخل الجبهة

لايمكن الوقوف على التفاعلات الإجتماعية داخل الجبهة دون العودة الى الوراء وتتبع عملية إنضمام الفئات والشرائح الإجتماعية للنضال في سبيل إستقلال الجزائر. فمن الحرب العالمية الأولى حتى عام 1936 فترة تولي الجبهة الشعبية اليسارية الحكم في فرنسا ، كانت الفئة البرجوازية التقليدية هي المسيطرة في الحركة الوطنية .ومع دخول حزب الشعب الجزائري العاصمة عام 1937 تحول طابع الحركة الوطنية وانتقلت قاعدتها النضالية الإجتماعية الى فئات أخرى كالبرجوازية الصغيرة التي تعني الفئة التي تملك وسائل إنتاج قليلة ولاتستخدم اليد العاملة الهامة وتكون إقتصادياتها معيشية تستفيد منها لوحدها.وهذه الفئة حسب التحليل الماركسي تعني الطبقة المتوسطة العالية قد تكون فلاحية أوحرفية أوتجارية (35) وبعض الفئات الأخرى التي آنحدرت بفعل عملية التفقير الى الفئة شبه البروليتاريا والتي تتشكل عادة من صغار المزارعين والحرفيين الصغار والتجار الصغار . لم تعد البرجوازية الكبيرة تسيطر على الحركة الوطنية ، فحركة أحباب البيان والحرية التي أسسها 'فرحات عباس' عام 1944 كانت عبارة عن مزيج من القوى الإجتماعية تسيطر عليها الفئة البرجوازية المثقفة ولذلك لا يمكن مقارنة أحباب البيان والحرية بجبهة التحرير الوطني لأن بيان أول نوفمبر -الوثيقة الإيديولوجية الأساسية والأولى للجبهة - غيرت شكل التنظيم النخبوي وأعطت طابعا شعبيا للعلاقات الجديدة بين مختلف الطبقات. ثم أن المشاركة الجماعية للريف في الثورة وبشكل مباشر جعل الحرب التحريرية تعرف مرحلة جديدة. فقد عاد الريف لإحتلال مكان الصدارة في الكفاح وهذا ما يؤكد الطابع الثوري للريف دوما. غير أن آنضمام النخب التقليدية سواء تلك المحافظة كالعلماء أو النخبة المثقفة بالفرنسية 'كفرحات عباس' وجماعته أوأعضاء اللجنة المركزية "لحركة انتصار الحريات الديمقراطية" ، جعل مسألة الأصول الإجتماعية لجبهة التحرير الوطني صعبة وقد تتسم بالغموض.

(35) Souad MOKDAD , IBID Page - 40 -

لأن هذه المجموعات غير متجانسة لاإجتماعيا ولافكريا ولا سياسيا . ولا يمكن تحديدها لأننا لسنا أمام طبقة تعمل لأجلها أي لتحقيق مصالح طبقة معينة بل أن جبهة التحرير الوطني هي عبارة عن عملية تجميع لكل الإتجاهات السياسية المتناقضة والتي آضطرت لإخفاء أهدافها الخاصة لصالح الهدف الوطني في التحرر والإستقلال . ولهذا فإن الجبهة جعلت نفسها فوق كل الإعتبارات الإجتماعية والإيديولوجية فهي تنظيم كل القوى الحية بالبلاد مهما كان الإنتماء السياسي والأصل الإجتماعي لأن هدفها وطني وليس مذهبي متحيز للدفاع عن مبادئ في مواجهة مبادئ أخرى مناقضة لها . ولهذا فإن جبهة التحرير الوطني هي نتاج إلتقاء بين الأحزاب الوطنية الإصلاحية الفاشلة والثورة الفلاحية الكامنة منذ أن وطئت أقدام المحتلين الفرنسيين الجزائر وكما تقول "سعاد مقداد" في مرجعها السابق حول "الهيمنة الإستعمارية والقطيعة الوطنية": " إن حرب التحرير الوطنية كانت نتيجة العلاقة الترابطية بين الأحزاب الوطنية الفاشلة والثورة الفلاحية المتخفية". (36)

فالفئات الريفية لم تتخاذل أمام الإنفجار الثوري لأنها كانت تعيش داخلها الثورة وكانت تنتظر من يقودها ويخطط لها ورأت في الحرب التحريرية مناسبة تاريخية لإعادة الإجماع الوطني الضائع . بينما الفئات الأخرى المنضمة للثورة بعد انطلاقاتها بعامين أو عام فكانوا يتخاذلون ويأملون في إنتزاع حقوق الجزائريين بالطرق الشرعية التي يعمل وفقها الإستعمار أي عن طريق تشكيل أحزاب سياسية على النمط الغربي. فالبرجوازية والطبقة المتوسطة المثقفة من المركزيين وأعضاء الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والعلماء التحقوا بجبهة التحرير الوطني عام 1956 بعد أن توسعت الثورة وبدأت تتنظم أكثر لتعرف مرحلة جديدة من تاريخها .

إن عمليات آنضمام الإتجاهات السياسية الوطنية الأخرى للجبهة تعطينا فكرة عامة عن التفاعلات الإجتماعية داخل الجبهة.بعد إندلاع الكفاح صار موقف الأحزاب الوطنية واضحا وحملت الإدارة الإستعمارية مسؤولية إنفجار الوضع ، فالثورة قطعت عليهم الإستمرار في الأسلوب الإصلاحي . وقد حاول البعض منهم إيجاد حلول وسطى أدانها "عبان رمضان" بقوله :" تروج إشاعات بصدد مباحثات سريه بين "سوستيل وعباس" وبين القائد "مونتاي وكيوان " ومبعوث من وزارة الداخلية في الوقت الذي تواصل فيه الإدارة الإستعمارية إستخدام تعزيزات يوميا لتحطيم عملنا المسلح ، تعمل منذ الآن على إيجاد مخرج .. تأمل أن توقف بواسطة أمثال عباس وكيوان ومصالي عمل جيش التحرير الوطني مقابل بعض الإصلاحات السياسية ." (37)

(36) Souad MOKDAD , IBID Page - 57 -

(37) محمد حربي مرجع سابق الصفحة -117-

آنضم الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وأغلبية أعضاءه من الإندماجيين والعلماء المحافظين الإصلاحيين وقد رأينا أنهم ينحدرون إجتماعيا من الطبقة البرجوازية المؤلفة من أعيان المدن والأرياف . لم يكن زعيم هذا الحزب "فرحات عباس" يؤمن بجدوى الكفاح المسلح ، بل كان يرى في ذلك تهـورا ومغامرة يائسة وكان يعلق آمالا كبيرة على رد "مانديس فرانس" رئيس حكومة فرنسا انذاك ، لكن تزوير إنتخابات الأقاليم عام 1955 أخرجت "عباس فرحات" من أحلامه وآقتنع بأن الحاكم العام "جاك سوستيل" آعترف بعجزه عن إقناع الأقلية الأوربية بقبول تغييرات في المجتمع الجزائري ماهي الامناورة لعزل جبهة التحرير الوطني .(38)

رغم العلاقات المشوبة بالحذر بين مؤسسي الجبهة وقادة الأحزاب التي عارضت فكرة الثورة فإن "فرحات عباس" اتصل بالجبهة وأقنع القادة البرجوازيين بالجبهة . وما عزز موقفه هذا إنتفاضة الشمال القسنطيني في أوت 1955 ، حيث آمنت البرجوازية أن فرنسا تناور وتراوغ لتعزل الجبهة عن باقي الأحزاب الوطنية وعن الشعب فقط . أما المركزيون لم يكونوا يؤمنون بالعمل المباشر دون تحقيق وحدة الحركة الوطنية وإرساء الأسلوب الديمقراطي في العمل وطرق تحقيق الإستقلال ، وكانت اللجنة المركزية تتألف في مجموعها من البرجوازيين المثقفين وحتى من البرجوازية الصغيرة سواء الفلاحية ، الحرفية أو التجارية.

أما العلماء والذين يمثلون النخبة المحافظة ذات الثقافة العربية الإسلامية الواسعة ،فقد تأخر آنضمامهم للجبهة ،فحين طلب "أحمد بن بلة" من الشيخ "البشير الإبراهيمي" التوجه بنداء الى الجزائريين لتأييد الثورة وَالإنضمام إليها رفض ذلك وبقي موقفهم متحفظا بحيث قال : " لانملك حاليا معلومات مفصلة وكافية - لايمكننا أن نقوم بأدنى تعليق ... أضف الى ذلك ليست البصائر هي التي في وسعها السماح لنفسها بإظهار العجلة في هذه الحقول ."(39) فالعلماء كغيرهم من الإصلاحيين لم يؤمنوا بجدوى الكفاح عن طريق السلاح دون تجميع كل الحركات الوطنية .

كان آنضمام فرحات عباس للثورة تحولا خطيرا في تاريخ الصراع ضد السلطات الإستعمارية -مما دفع فرنسا الى الإعتراف صراحة:" بأن الحركة الجزائرية قد أصابت نصرا حاسما بآنضمام "فرحات عباس" الى صفوفها ."(40) كانت فرنسا تشجعهم وتعدهم ليكونوا دعامة إستقرارها بالجزائر والمحافظة على مصالحها .

---

(38) محمد حربي مرجع سابق الصفحة -117-

(39) محمد حربي مرجع سابق الصفحة -121-

(40) العميد مصطفى طلاس و بسام العسلي - مرجع سابق- الصفحة -383-

لذلك فإن قدوم 'فرحات عباس' الى القاهرة كان ضربة عنيفة هزت أوساط الإدارات الفرنسية المختلفة وزادها فزعا ما أعلنه 'عباس فرحات' عند وصوله : 'إذ وجه إنذاراً الى فرنسا بالتسليم لمطالب الجزائريين العادلة وتهديده لفرنسا بأن الجزائريين لن يكتفوا بشن الحرب ضد فرنسا في الجزائر فقط وإنما سيعملون على نقل الحرب الى أراضي فرنسا ذاتها .' (41)

من أهم العقبات التي صادفتها جبهةالتحرير الوطني أثناء عملها المباشر ظهور ثورة مضادة شكلها الرئيس السابق للتيار الإستقلالي 'مصالي الحاج ' حملت اسم ' الحركة الوطنية الجزائرية '. قامت هذه المنظمة المستمدة من نفس الحركة التي آستمدت منها الجبهة جهازها السياسي وقوتها العسكرية بأعمال مضادة لجبهةالتحرير الوطني حيث هاجمت مناضلي الجبهة وشكلت جنين جيش مضاد لجيش التحرير الوطني بقيادة 'محمد بلونيس' وكانت تتركز في الجنوب ،وهران والجزائر والقبائل ووادي الصومام. وقد انضمت اليه القاعدة النضالية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية سابقا بفرنسا وحتى بالداخل ،لكن إشتداد حقدها على جبهةالتحرير الوطني التي صارت تجابه قوتين : الإحتلال وجنوده والجيش المضاد لجيش التحرير الوطني- جعل نشاط هذه الحركة قصيرا ومشتتا في بعض المدن القليلة كما سبق ذكره ولهذا ' فإن مذهب مصالي فقد قيمته كتيار سياسي وأصبح شيئا فشيئا حالة نفسية تذوب وتضعف بتوالي الأيام .' (42) وقد انقلب المنضمين اليها وأقتنعوا بالإنسحاب أو الإنضمام للجبهة .

وخلاصة القول أن كلا من التنظيمين كانا نتيجة تصدع 'حركة انتصار الحريات الديمقراطية ' أي كلاهما نشأ بسبب النزاع حول السلطة ومحاولة كسب الشرعية في المبادرة بالعمل .فجبهةالتحرير الوطني ظهرت لوضع حد للنزاعات الداخلية للحزب الذي انحدر الى مستوى الإصلاحية . وكانت أغلبية أعضاءها من المنظمة الخاصة – التنظيم العسكري – للحركة الإستقلالية . و'الحركة الوطنية الجزائرية' أسسها 'مصالي ' للقضاء على جبهةالتحرير الوطني وكسب الشرعية والسلطة في آن واحد ، فأسبقية المناداة بالعنف والثورة كانت له وهو يريد إثباتها عن طريق الثورة المضادة للتنظيم الجديد أولا ثم يتولى أمر الإحتلال . لكن طموحات هذه الحركة اللاعقلانية انعكست سلبا عليها وبدأت تفقد المتعاطفين معها خاصة بعد أن أثبتت جبهةالتحرير الوطني أهميتها على الساحتين السياسية والعسكرية ،فقد انتصرت جبهةالتحرير الوطني لأنها فهمت أن الشكل الرئيسي للتنظيم هوالجيش ، فهي لم تحاول 'كالحركة الوطنية الجزائرية' تركيز العمل على الجماهير وجمعها لمباشرة العمل الثوري ، بل نادت الى الكفاح والإنضمام بشكل فردي .

---

(40) العميد مصطفى طلاس و بسام العسلي – مرجع سابق– الصفحة –383–

(41) نفس المرجع السابق الذكر و نفس الصفحة.

(42) نفس المرجع السابق الصفحة –234–

ثم أن الجبهة التي لم تدعو لإعتناق إيديولوجية معينة ولا للتنافس مع بقية أحزاب الحركة الوطنية حددت هويتها منذ بداية نشأتها على أنها : " الأسلوب الجديد للتعبير عن الوطنية الجزائرية التحريرية الديمقراطية الإجتماعية واتخذت لنفسها مبدأ الإعتراف للشعب الجزائري في حقه في الحرية والإستقلال وقد دعت جبهة التحرير الوطني الى إتخاذ موقف يتميز بعدم التعاون سياسيا مع الإمبرياليين." (43) إذا كان البعض يرى في تشكيل الحركة المضادة لجبهة التحرير الوطني مسألة غرور الرئيس "مصالي الحاج" وحرصه على إثبات أسبقية وعيه الثوري فإن الباحثة "مغنية الأزرق" ترى في ذلك مؤشرا على وجود صراع إيديولوجي بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية "لمصالي" حيث تقول :" من المستبعد أن يكون التعارض الذي نشأ بينهما حول المبدأ المشترك : تحقيق الإستقلال ، إن حقيقة كون مصالي كان يتمتع بتأييد القاعديين- الذي تصادف أن كانوا من البروليتاريا - قد تكون مؤشرا على صراع إيديولوجي بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية ."(44) فالحركة الوطنية الجزائرية تدخل في صراع مع الإتجاهات الأخرى المنضمة للجبهة . رغم هذه الوحدة الضرورية بين التيارات المختلفة للحركة الوطنية لنصر الفكرة الوطنية ، فإن الصراعات بسبب إختلاف التوجهات السياسية لم تختف تماما لأنها عادت لتظهر خلال مؤتمر الجبهة الأول بوادي الصومام بتاريخ 20 أوت 1956 .

(43) مصطفى الاشرف مرجع سابق الصفحة -170-

(44) مغنية الازرق مرجع سابق الصفحة -79-

المبحث الرابع

موقف أحزاب الحركة الوطنية من الثورة

آختلفت مواقف أحزاب الحركة الوطنية من الثورة بآختلاف منطلاقاتها الإيديولوجية وبآختلاف وضعياتها لدى الإدارة الإستعمارية ولدى الشعب الجزائري . فبالنسبة لوضع حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري كان يختلف عن وضعية جمعية العلماء المسلمين والحزب الشيوعي الجزائري بسبب السمعة السياسية التي كان يتمتع بها زعيم الإندماجيين "عباس فرحات" من جهة وتواجد عدد كبير من المثقفين والتجار الكبار في صفوفه ولتمكنه دون التشكيلتين الأخريين من الإنتشار في مختلف أنحاء الوطن لدرجة أنه أصبح منافسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية. ان موقف الإتحاد البياني لم يكن يختلف في شيء عن موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والحزب الشيوعي ولم يكن رئيسه "عباس فرحات" يؤمن بالعنف الثوري ويرفض أن يعالج المشكل الجزائري من زاوية الإنفصال عن الوطن الأم "فرنسا" ولهذا جاء تعليقه عن الهجوم الأول لجبهة التحرير الوطني ليلة الفاتح من نوفمبر على أنه يأس وفوضى ومغامرة.(45) وجاء موقف البيانيين الرافض في البداية للكفاح المسلح من معتقداتهم الإيديولوجية بحيث سلكوا الطريق الليبيرالي في طرح المسألة الإجتماعية عن طريق الأحزاب السياسية وظلوا معتقدين بأن هذا الأسلوب الغربي سيمكنهم من إنتزاع حقوق الجزائريين المسلوبة . وقد آنهار حزبهم أمام ثورة نوفمبر والتي كانت قاعدتها الأساسية الأرياف والفلاحين . أما الحزب الشيوعي الجزائري فكان موقفه معارضا منددا بالعنف الثوري ولهذا آستنكر "الإرهاب" وأمر أعضاءه من سكان الأوراس الذين قدموا الى الجزائر في الأشهر الأولى من الثورة ألا يرفعوا السلاح.(46) لم يستطيع هذا الحزب الإعتراف بالثورة علنا ثم الإنضمام للجهاد للأسباب التالية :(47)

1- إن الحزب الشيوعي الجزائري مكون في أغلبيته من الأوروبيين الذين يرفضون الإتجاه الوطني العامل من أجل تحقيق الإستقلال الكامل والإنفصال عن فرنسا.

(45) الدكتور محمد العربي الزبيري مرجع سابق الصفحة -151-.

(46) العميد مصطفى طلاس و بسام العسلي - مرجع سابق- الصفحة - 233

(47) الدكتور محمد العربي الزبيري مرجع سابق الصفحة -165-.

2-أن الشيوعيين الفرنسيين والجزائريين لم يؤيدوا الحركة الإستقلالية الجزائرية نتيجة موقف إيديولوجي يرى أن محاربة الأنظمة الإستعمارية والإمبريالية والرجعية لايمكن أن تنجح إلا في إطار الحركة النضالية التي تقوم فيما يسمى بالوطن الأم .لكن هذا لاينفي إشتراك بعض المناضلين في صفوفه في الثورة وقد شهد لهم بذلك التاريخ -فهناك اسماء عدة لشيوعيين جزائريين انقلبوا الى مناضلين وطنيين أمثال : 'عمار أوزقان' -'كوش يونس' -' عبد الرحمن بوشامة'- و'عزالدين مازري'.(48)
بعض التحاليل تذهب إلى القول أن بعض المناضلين الجزائريين كانوا يتعمدون الإنضمام لهذا الحزب لإستخدامه كغطاء يمكنهم من مناهضة المصالح الإستعمارية دون التعرض لأعمال العنف والمتابعة .يعتقد الحزب الشيوعي الجزائري أن التحرر من الهيمنة الإستعمارية مستحيل الوقوع قبل إنتصار ثورة طبقة العمال في فرنسا. وهذه الإيديولوجية التي تنكر الحقيقة هي من آثار نظريات الخلية الفرنسية للأممية العمالية (49) التي تدعو الى سياسةالإدماج السلبي والإنتهازي فهي تنكر الصفة الثورية للفلاحين والفلاحين الجزائريين على الخصوص لأن التحليل الماركسي لايعتبر الفلاحين طبقة إجتماعية بإمكانها إحداث تغييرات إجتماعية جذرية لصالح طبقتها – وهذا لسببين ، ذكرت الأول فيما تقدم من مباحث وهو أن التحليل الماركسي يحلل علاقات الإنتاج الإجتماعية بناء على صراع طبقتين هامتين: هما أرباب العمل الرأسماليين والعمال البروليتاريين أما الثاني فلكون التحليل الماركسي لصراع الطبقات تزامن وصعود الرأسمالية .

ومهما يكن فإن موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم يختلف عن موقف الأحزاب المعارضة للثورة خاصة الأحزاب المعتدلة كما هو الحال لدى 'فرحات عباس' . لقد كتبت جمعية العلماء في البصائر في شهر فيفري عام 1955' أن برنامج التغيرات الأساسية الأصولية في أمور البلاد لايمكن أن يرتجل إرتجالا بل يجب أن يكون نتيجة بحث ودراسة عميقة مع ممثلي الأمة الحقيقيين الذين يتكلمون باسم سائر الأحزاب والهيئات والمنظمات القومية.' (50) لكن هذا الأمر لاينفي موقفها المؤيد فيما بعد - فقد كتب الشيخ العربي التبسي بجريدة البصائر العدد 306 الصادر بتاريخ 18 فيفري 1955 دعوة صريحة للجهاد إذ جاء ما يلي : "إنهم رجال تململوا وتحركوا ودبت فيهم روح الحياة الحرة الجامحة التي تحطم أمامها كل معترض مهما كان قويا وتقدموا الى الأمام يخوضون معركة الحياة وقد حملوا أرواحهم فوق أيديهم فيزحفون إلى الأمام ولا يتقهقرون أبدا إلى الخلف .' (51)

(48) الدكتور محمد العربي الزبيري مرجع سابق الصفحة -166-
(49) برنامج طرابلس جوان 1962.
(50) العميد مصطفى طلاس و بسام العسلي - مرجع سابق- الصفحة -184-
(51) العميد مصطفى طلاس و بسام العسلي - نفس المرجع السابق و نفس الصفحة.

رغم المواقف المتباينة للجمعية بخصوص تأييد الثورة إلا أن الجمعية بدأت تتقرب من أجهزة الجبهة إبتداء من الأشهر الأخيرة لعام 1955 وتم الإنضمام الرسمي لها في بداية سنة 1956. وهذه السنة هي الأهم في تاريخ الثورة الجزائرية إذ توسعت الثورة بآنضمام المعتدلين إليها وإخفاق الثورة المضادة بقيادة 'الحاج مصالي' ثم عقد مؤتمر الصومام لتنظيم الثورة وتأسيس هياكل لها ووضع برنامج هام تسير وفقه .

يؤكد الدكتور يحي بوعزيز على أن سنة 1956 هي سنة تطور للجبهة حيث أن صفوف الجبهة تعززت بانضمام مناضلي وإطارات وقادة الأحزاب الأخرى.' ففي بداية 1956 تأكدت كل الأحزاب والهيئات السياسية التي كانت في موقف التردد بين التأييد للثورة والوقوف منها موقف الحياد ،بأن الثورة نبعت من تخطيط وورائها رجال وأدمغة ،وأهداف واضحة تماما.' (52) وهذه الأهداف تمثلت في الإستقلال الوطني والسيادة القومية الكاملة . ومن هنا أصبح التردد غير وارد وقطع الطريق أمام أنصار المماطلة والأسلوب الإصلاحي الذي أثبت فشله أكثر من مرة . ولذلك بدأت جمعية العلماء تتقرب أكثر فأكثر من الجبهة وبدأت تطالب في منتصف جانفي 1956 بضرورة الإعتراف بآستقلال الجزائر وأعلن فرحات عباس بأنه هو وحزبه يؤكدون بصورة واضحة مساندتهم للقضية الوطنية بقيادة جبهة التحرير الوطني .

تذكر بعض المصادر أن معارضة إستقلال الجزائرالكامل من طرف الشيوعيين متأتية من تخوفهم من إنضمام الجزائر للأمة العربية أو من أن تصبح ميدانا خصبا للنفوذ البريطاني ،الأمريكي ، لذلك فإن الشيوعيين الفرنسيين لم يهتموا أبدا بمصير الجزائر ولكنهم كانوا يرمون إلى التوفيق بين نزعتهم الوطنية التي تملي عليهم ضرورة الإسهام في عملية الحفاظ على كيان وعظمة الإمبراطورية الفرنسية المتسترة بغطاء الجمهورية وبين معتقداتهم الإيديولوجية الماركسية التي تستلزم أولوية المصلحة السوفياتية بآعتبار موسكو عاصمة المعسكر الإشتراكي.

ومهما يكن فإن أحزاب الحركة الوطنية كانت متباينة المواقف من الثورة ومختلفة في الإتجاهات ، فهي لم تكن كلها متفقة حول العمل المباشر المسلح ونجد هذا حتى داخل التيار الثوري ، فحزب الشعب الجزائري وفروعه المختلفة كان يهدف الى تحقيق الإستقلال الكامل عن طريق العنف الثوري ولكن بالنسبة لموعد الإنطلاق في الثورة لم يكن كل القادة والمناضلين متفقين إذ كانت ترى أغلبيتهم أن الوقت لم يحن بعد للشروع في الثورة بينما كانت الأقلية تصر على ذلك .

(52) الدكتور يحي بوعزيز مرجع سابق الصفحة -312-.

كانت فرنسا تعتمد على استراتيجية أساسية تتضمن مبدأ القضاء على القادة للقضاء على الثورة . كان المحتلون يعتقدون أنه بمجرد التضييق على الثوار وقادتهم كما حدث بالشمال القسنطيني أحداث سكيكدة خلال أوت 1955 أوحادث إختطاف الطائرة التي كانت تنقل القادة الخمسة إلى الرباط للإجتماع بالمغاربة والتونسيين . لكن الثورة الجزائرية آعتمدت على خطة أساسية للعمل أساسها التكتم على الأمور وإلتزام السرية التامة حتى لاتتسرب المعلومات الحربية .وقد أكد الدكتور'يحي بوعزيز' أن العمل السري كان القاعدة الأساسية التي سارت عليها جبهةالتحرير الوطني وجهازها العسكري 'جيش التحرير الوطني ' الذي لم تنله عمليات التخريب والإرهاب التي شنها الجنرال 'دي فور' إبتداء من 28 أفريل 1956 على منطقة القبائل الصغرى التي اختارها 'روبير لاكوست' لتهدئة الأوضاع بها ولتصبح نموذجا للمناطق الأخرى. هذه العملية آتخذت إسم 'الأمل والبندقية' لكن التهدئة لم تتحقق وخلفت هذه العملية تخريبا ودمارا في المنطقة ولكن جيش التحرير المستهدف لم تنل منه شيئا لأنه أحتاط لنفسه قبل بدء العمليات بفضل جهاز الإعلام والإستخبارات الذي كان يتوفر عليه ويزوده بجميع أخبار العدو وخططه.(57) بعد فشل خطة التهدئة لجأ لاكوست إلى عمليات أخرى عرفت بإسم Quadrillage (58) والتي تقضي بتقسيم البلاد إلى مناطق مربعة وحصارها وتطهيرها واحدة بعد الأخرى لعزل الثورة عن الشعب وقطع التعاون معها. لم تتخل فرنسا عن تمسكها بمبدأ دمج الجزائر بفرنسا رغم الإنطلاقة الثورية وأهميتها على الساحتين : الداخلية والخارجية .وقد انطلق من هذه العقلية رئيس مجلس الوزراء الموالي 'لغي مولي ' 'بورجيس مونوري' الذي صرح بتاريخ 02 أكتوبر 1957 :'أن هناك ثلاثة إلتزامات في إطار القانون الأول وهو أنه لاأحد ولاشيء سيفرق بين الجزائر وفرنسا . تفاوض مع من ؟ السلم بأي ثمن ؟ لايمكن التفاوض إلا مع ممثلين أكفاء ونحن لا يمكن أن نعتبر ممثلين أكفاء الذين يستمدون كفاءتهم عن طريق الإجرام والإرهاب.' (59)

(57) الدكتور يحي بوعزيز مرجع سابق الصفحة -315-.

(58) الدكتور يحي بوعزيز نفس المرجع الصفحة -116-.

(59) العميد مصطفى طلاس و بسام العسلي مرجع سابق الصفحة -43-.

الفصل الثالث



تعددت أسباب ودوافع ثورة الفاتح من نوفمبر من عام 1954من أسباب إستعمارية تصفية مست الجوانب المادية للشعب الجزائري من قمع وتخريب لإقتصادياته وتجويع وتفقير عن طريق إضطهاده وتعنيفه بكل الوسائل القمعية الإستعمارية كمصادرة الأراضي الزراعية وحجزها وإتلاف محاصيل الفلاحين الجزائريين وتجهيلهم عن طريق منع التعليم أو حصره في تعليم القرآن ، حرصا من السلطات الإحتلالية للقضاء على كل عصيان أو تمرد قد يحدث في منطقة أوأخرى من الوطن الى أسباب روحية وأخرى حضارية تعلقت بهويته الوطنية وانتماءه العربي الإسلامي . ويلاحظ من خلال أدبيات المقاومات الوطنية التي سبقت ثورة التحرير ، أنها كانت عبارة عن صراعات حضارية "حيث يبدو من تتبع وقائع المقاومة الوطنية التي استمرت أكثر من قرن من الزمان ،أن كل الإنتقاضات المسلحة منذ زمالة الأمير عبد القادر سنة 1843 إلى ثورة نوفمبر 1954 إنما كانت في الاساس صراعا حضاريا." (1) فقد كان الكأس يفيض كلما أمعن المحتل في إنتهاك الهوية الوطنية ورموزها ، الحرية - الدين - اللغة والعدالة فلم تخل إنتفاضة من تلك الثوابت ولم تتردد أية قيادة وطنية في الدفاع عنها .

صنف المؤرخون والمحللون أسباب الثورة الجزائرية إلى صنفين هما: الأسباب العامة والأسباب المباشرة. نعالج من خلال هذا الفصل كلا منها.

(1) محمد العربي ولد خليفة " الثورة الجزائرية، معطيات و تحديات " المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر- الطبعة الاولى 1991 الصفحة 63.

المبحث الأول

الأسباب العامة والمباشرة لثورة نوفمبر 1954

تعد مجزرة الثامن ماي من عام 1945 أهم سبب عام لقيام الثورة بنل هناك من يقول أنها عبارة عن ثورة أوبداية لثورة مسلحة نتيجة الحماس الثوري الذي آتسم به الشعب الجزائري في ذلك اليوم وضخامة التضحيات التي قدمها مقابل إفتكاك حريته وإستقلاله. فقد كانت مجزرة الثامن ماي "طعنة مريرة للحركة الوطنية " (2) إذ أثبتت للشعب وأكدت للمناضلين والمكافحين أن حرية الجزائر لايمكن أن تتحقق عن طريق الثورة بالقانون فقد أحبطت أحداث ماي كل الأطروحات وأظهرت فشل الطريق السياسي لحل القضية الوطنية في اطار الشرعية الإستعمارية . هذه الحقيقة جعلت حزب الشعب الجزائري يدرس الأوضاع دراسة تحليلية دقيقة.ونفس الشيء ذهبت إليه 'حركة انتصار الحريات الديمقراطية ' التي ظهرت كبديل وإستمرار له بعد الحرب العالمية الثانية وأسفرت هذه الدراسة عن تشكيل تنظيم عسكري سري عرف بأسم المنظمة السرية الخاصة عام 1947 مهمتها الإعداد لثورة مسلحة في المستقبل .

على عكس ما ذهب إليه هذا التيار الثوري فإن بقية الأحزاب الإصلاحية لم تكن تؤمن بمنطق الكفاح المسلح وكانت تعادي هذه الفكرة وتقاومها كما أن فشل سياسة التحالف الذي دخلت فيه حركة انتصار الحريات الديمقراطية مع بقية الأحزاب في تحالف ضعيف نتج عنه ظهور منظمة أو جبهة مشتركة للدفاع عن الحرية وإحترامها عام 1951 على أمل مواجهة الإرهاب الإستعماري بجبهة قوية .لكن هذه الجبهة تحطمت بسرعة نتيجة إختلاف إتجاهات الأحزاب التي تألفت منها وتباين أهدافها ووسائلها وأفكارها .

فقد كان تصدع هذه الجبهة مثالا آخر على إفلاس الأحزاب السياسية وتعفن الأوضاع فيما بينها . ومازاد في إعراض الشعب عنها حماسه للكفاح المسلح الذي شرع فيه الشعب التونسي والشعب الفيتنامي آنذاك إلى جانب الأوضاع الإجتماعية السيئة جدا للشعب الجزائري .أما الأسباب المباشرة للثورة فقد حددها أغلبية الباحثين والدارسين للثورة الجزائرية فيما يلي :

أ- إنقسام حركة انتصار الحريات الديمقراطية على نفسها ودخول القادة في صراع حاد ناسين الآمال التي علقتها الجماهير الشعبية العاملة خاصة على نشاطاتها .

ب - ظهور اللجنة الثورية للوحدة والعمل وتحملها لعبء الكفاح المسلح الذي وضع حدا لتلك الخلافات والخصومات الحزبية .

---

(2) الدكتور يحي بوعزيز "ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20" الطبعة الاولى 1980 دار البحث للطباعة و النشر قسنطينة الصفحة 293.

عندما حدث النزاع الداخلي وسط الحركة الإنتصارية في أوائل عام 1954، حاول الشباب الثوري أن يوفق بين وجهة نظر الطرفين المتنازعين : اللجنة المركزية والرئيس "مصالي الحاج " وجماعته.و لما فشلوا في ذلك وتيقنوا من ضياع جهودهم التي بدأت منذ عام 1947 وهو عام تشكيل المنظمة السرية الخاصة مهمتها التحضير العسكري للثورة. وقرروا الإنفصال عن الكتلتين المتناحرتين والبحث عن حل آخر .فهذه المجموعة من الشبان الواعين جمعت حولها العناصر المصممة على الكفاح وترك الجدالات العقيمة وقررت إخراج الحركة الوطنية من دائرة الصراع بين الأشخاص لمجرد التسلط وبدافع من الزعامة الحزبية والتسابق نحو إثبات الشرعية الثورية. فالثورة الجزائرية تجد جذورها البعيدة في الإنتفاضات الشعبية الأولى ، منذ بداية الإحتلال ولهذا فهي لم تكن حادثا طارئا ولابالجديد على التقاليد الثورية للشعب الجزائري وإنما كانت مسألة إختيار الظرف المناسب للشروع في الثورة ،يؤكد هذه المسألة الباحث محمد العربي ولد خليفة الذي قال :"أن إندلاع الثورة الجزائرية لم يكن حادثا معزولا أوغير متوقع في سياقه التاريخي وحيزه الجغرافي وبالرجوع إلى رصيده النضالي ."(3)

فمن الناحية التاريخية لم يعترف الشعب الجزائري بالإحتلال من إستسلام "الداي حسين" وإخفاق مقاومة "الأمير عبد القادر" نتيجة عدم تكافؤ في القوة العسكرية وخيانة بعض الملوك الجيران . فالشعب الجزائري لم يعترف إلا بشرعية السيادة الوطنية . ويعتقد الإعتقاد الراسخ بمقومات شخصيته العربية الإسلامية التي صانته من عمليات المسخ والإحتواء الثقافي الغربي .

بعد دراسة تلك الأوضاع قرروا تشكيل هيئة أخرى جديدة ومستقلة أطلقوا عليها اسم "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" خلفا للمنظمة الخاصة على أن تباشر العمل في أقرب الآجال ودعوا كافة الشعب الجزائري للإنضمام إليها بصفة شخصية بعيدا عن التكتلات الحزبية للمشاركة في العمل الثوري المسلح واتفقوا على توجيه منظمتهم إتجاها ثوريا حاسما . خلال شهر جويلية 1954 نظم "إثنان وعشرون" (22) رجلا من أعضاء اللجنة الثورية عدة إجتماعات بالجزائر العاصمة، درسوا خلالها أوضاع البلاد وظروفها بسبب الخلاف الحاد داخل الحركة وأصدروا نداء إلى المناضلين يدعوهم إلى نبذ كل النزاعات والإستعداد للكفاح المسلح .

(3) محمد العربي ولد خليفة ، مرجع سابق، الصفحة 63.

أجمع المناضلون على فكرة الكفاح المسلح و اتخذوا قرارا بذلك في جميع ارجاء الوطن واختاروا لجنة من ستة (06) أعضاء شرعوا في تنظيم الثورة و الاعداد لها و الاشراف عليها و كان امامهم حلان :(4)

1- التنظيم ثم الشروع في الثورة المسلحة.

2- أو الشروع في الثورة ثم التنظيم بعد ذلك.

اختاروا الحل الثاني حتى يحلوا الخلافات الشديدة بين اعضاء التيار الثوري و خلق جو نفسي ملائم لتنظيم الثورة على المستوى الوطني و قررت هذه اللجنة الشروع في الكفاح المسلح ليلة الفاتح من نوفمبر وتحويل اللجنة الثورية للوحدة والعمل إلى جبهة التحرير الوطني سياسيا وإلى جيش التحرير الوطني عسكريا ولذلك فإن نواة الجبهة هي اللجنة الثورية وهي ذات مبادئ ثورية وتقدمية ولذلك جاءت إيديولوجية الجبهة تقدمية ركزت على تحسين ظروف الفئات الريفية المقهورة خاصة وتقرر في هذا الإجتماع أن تحل الأحزاب السياسيه نفسها وتنضم إلى جبهة التحرير الوطني بصفة فردية توحيدا لصفوف الشعب وتدعيما لمركز الجبهة والجيش في الداخل والخارج .

تبنت الثورة مبدأ لامركزية التسيير والتنظيم وكونت قيادات جهوية(5) لتباشر العمل في مختلف المناطق، حيث عينت ثلاثة (03) في بلاد القبائل وإثنين (02) في شمال قسنطينة بالإضافة إلى المناضل الشهيد "زيغود يوسف" وواحد (01) في وهران وأربعة (04) في العاصمة إلى جانب بعض الأعضاء الأخرين بالخارج كلفوا بتدويل القضية الجزائرية لكسب المزيد من الأنصار والحصول على المساعدات المادية والعسكرية. حرص مخططو ثورة الفاتح من نوفمبر على أن تكون ثورة شعبية واضحة الهدف والوسيلة سواء لدى الجزائريين أو على المستوى العالمي خاصة لدى الرأي العام الفرنسي .تماشيا مع هذه الخطة الواضحة أصدرت الجبهة أول نداء لها للشعب الجزائري مساء يوم 31-10-1954 ووزعته صباح يوم أول نوفمبر من نفس السنة ،حددت فيه أهداف الثورة ومبادئها ووسائلها كما حددت فيه غايتها من الثورة التي تتمثل في تحقيق الحرية والتقدم والعدالة الإجتماعية .

تضمن البرنامج السياسي لجبهة التحرير الوطني هدف الإستقلال الوطني بواسطة:(6)

- إقامة حكومة جزائرية ذات سيادة ديمقراطية وإجتماعية داخل إطار المبادئ الإسلامية .
- إحترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز بين الأجناس والعقائد.

---

(4) الدكتور يحي بوعزيز 'مرجع سابق ' الصفحة 296.

(5) الدكتور يحي بوعزيز 'مرجع سابق ' الصفحة 297.

(6) بيان أول نوفمبر.

كما تبنى البرنامج أهداف داخلية وأخرى خارجية ، فالأهداف الداخلية تضمنت عمليات تطهير وهي ضرورة ملحة لتقويم الحركة الوطنية وإعادتها للطريق الشرعي وهو طريق الثورة الشعبية المنظمة والتخلي عن المصالح الذاتية وتأجيلها لما بعد التحرير .ثم تعبئة وتنظيم جميع القوى الصالحة في الشعب الجزائري وتوحيد جهودها لضرب مواقع الإحتلال .ثم أن تدعيم الثورة من الداخل لا يتم ويتقوى دون البحث عن الدعم الخارجي الذي يحمس الثوار والمناضلين على مواصلة النضال والإستمرار في الثورة . فهذا الدعم الخارجي له أهميته لذلك عملت الجبهة على إسماع صوت الثورة الجزائرية العالم كله في المحافل الدولية وتمكنت من تحقيق هدف تدويل القضية الجزائرية. وبما أن الثورة الجزائرية لم تكن بمعزل عن حيزها الجغرافي الكبير والطبيعي فقد تعدت حدود أقاليمها ووضعت هدف الوحدة بين بلدان الشمال الإفريقي من بين الأولويات وإحدى الضرورات لنجاح الثورة بها ، ثم أن الثورة الجزائرية كانت ثورة ذات بعد وطني وإقليمي وإنساني فقد أكدت تضامنها مع كل الشعوب المكافحة في سبيل حريتها وتقدمها كبقية الأمم .

المبحث الثاني
وسائل الكفاح على المستوى الداخلي

استعملت جبهة التحرير الوطني كل الوسائل المتاحة لها أنذاك للقضاء على الوضع الإستعماري وتحطيم أدواته خاصة المعمرين وجنود الإحتلال وهذا ما أكده بيان أول نوفمبر في الفقرة التالية : "انسجاما مع المبادئ الثورية وإعتبارا للأوضاع الداخلية والخارجية فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا".(7) معنى ذلك مواصلة الكفاح بكل الوسائل إلى أن يتحقق الهدف وذلك طبقا للمبادئ الثورية ومراعاة للظروف الداخلية والخارجية " ولكي نتوصل إلى هذه الأهداف سيكون لجبهة التحرير الوطني عملان رئيسيان يسيران جنبا إلى جنب " :(8)

- العمل على المستوى الداخلي في الميدانين السياسي والعسكري .
- العمل على المستوى الخارجي يتلخص في جعل المشكلة الجزائرية حقيقة واضحة أمام الدول والشعوب. وهذه المسألة تتوقف على تأييد الحلفاء الطبيعيين للجزائر خاصة الدول العربية في المغرب والمشرق والدول الإسلامية بحكم هذه الرابطة الدينية تحتم على المجتمع الإسلامي التضامن والجهاد في سبيل نصرة المسلمين لأن الإستعمار الفرنسي بالجزائر يعتبر إستعمارا إستيطانيا قائما على نصرة المسيحية على الإسلام .فهو إذن صراع أديان وحضارات وعقائد . وهذا العمل شاق لكونه يتطلب الشجاعة والإقدام والنضال والتضحية .

لقد جعلت جبهة التحرير الوطني من عملية التطهير السياسي إحدى أولويات العمل الداخلي حتى تطهر صفوف الجبهة من الإصلاحيين وأفكارهم الإندماجية الرافضة للثورة والتي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي .(9)

إيمانا بالسلم في العالم وتحقيقا للمبادئ التقدمية الثورية لجبهة التحرير الوطني أعدت الجبهة وثيقة للمناقشة مع السلطات الفرنسية شملت النقاط التالية :

- الإعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية معنى ذلك التخلي عن أطروحة الجزائر أرضا فرنسية .

---

(7) بيان أول نوفمبر.
(8) نفس المرجـــع.
(9) نفس المرجـــع.

– فتح مفاوضات مع الذين لهم حق التحدث باسم الشعب الجزائري على قاعدة الإعتراف بالسيادة الجزائرية.

– إيجاد جو من الثقة بالإفراج عن المعتقلين والمساجين السياسيين ورفع جميع الإجراءات الإستثنائية ووقف كل تتبع ضد القوى المكافحة وفي مقابل هذا تضمن إحترام المصالح الفرنسية الثقافية والإقتصادية التي اكتسبت بطرق مشروعة مع إحترام الأشخاص والعائلات إلى جانب تحديد العلاقات بين الجزائر وفرنسا بموجب إتفاقية تعقد بين الدولتين على قاعدة الإحترام المتبادل .

حاولت الثورة دائما أن تسير وفق خطط مدروسة مدققة لضمان الإستمرار والنجاح ودفعها إلى الأمام داخليا وخارجيا ، سياسيا وعسكريا ،فقد آتجه التخطيط إلى توسيع عمليات جيش التحرير الحربية والفدائية لتشمل أنحاء البلاد وذلك بفتح جبهة حربية بمنطقة وهران (10) ، عمدت الجبهة إلى هذا التوسيع والتنظيم الثوري لتحقيق هدفين هما :

– تشتيت وتوزيع جيش الإحتلال وإضعاف نشاطه لرفع الضغط عن المناطق الأولى للثورة -القبائل والأوراس.

– كسب أنصار ومدافعين عن القضية في الخارج وخاصة داخل هيئة الأمم المتحدة .

مع بداية عام 1956 ،بدأت الثورة تتسع وبدأت الأحزاب تدرك أهميتها وتعترف بشرعيتها خاصة الأحزاب الإصلاحية ،ففي منتصف شهر جانفي 1956 طالبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بضرورة الإعتراف بإستقلال الجزائر وأعلن 'عباس فرحات' عن عزمه الأكيد عن الإنضمام للجبهة ومشاركتها العمل متخليا عن سياسته الإندماجية التي طالب بها لمدة طويلة . وحتى تكون الجبهة متواجدة في كل مكان أسست بالجزائر العاصمة الإتحاد العام للعمال الجزائريين بتاريخ 24-02-1956 ضم حوالي 120ألف عامل جزائري .(11) طالبوا بتحسين الأوضاع المادية والإجتماعية .

كانت الجبهة تعلق آمالا كبيرة على الحزب الإشتراكي قبل أن يستلم الحكم ولكن الوضع أثناء حكمه زاد تعفنا حيث تكاثرت الإمدادات والنجدات العسكرية الفرنسية على أمل القضاء على الثورة .مقابل ذلك قامت الجبهة بإيقاظ الشعب وتنبيهه عن طريق تشكيل فرق وكتائب لتدعيم قوة جيش التحرير ومواجهة الموقف بنفس العنف ونفس الوسائل .تدعم مركز الجبهة بأنضمام كتلة 61 نائبا جزائريا في المجلس الجزائري الذين آستقالوا إحتجاجا على حرب الإبادة وكذا إعلان كل من 'فرحات عباس' و'أحمد فرانسيس' و'توفيق المدني' عن آنضمامهم للجبهة بصفتهم الشخصية لاالحزبية في أفريل 1956 وبذلك دخلت كل التشكيلات السياسية تحت لواء الجبهة .

(10) الدكتور يحي بوعزيز 'مرجع سابق ' الصفحة 311.

(11) الدكتور يحي بوعزيز 'نفس المرجع السابق الذكر و نفس الصفحة'.

استطاعت الثورة في أوائل عام 1956 ان تتخلص من كثير من الصعاب و المشاكل و تتعمق داخل الفئات الشعبية فتقوى نفوذها و تدعم مركزها و لذلك فكر القادة في اعداد مؤتمر لتنظيم الثورة ووضع برامج أخرى و هياكل للثورة.

كانت الفكرة متجهة الى عقد هذا المؤتمر في شمال قسنطينة حيث مركز قيادة " زيغود يوسف " قائد الولاية الثانية و لكن صعوبات كثيرة طرأت على الموقف جعلت من غير الممكن ان يعقد هناك .و بعد مداولات عديدة تم الاتفاق على عقده بوادي الصومام بالقبائل الصغرى حيث مركز قيادة الولاية الثالثة. ترأس المؤتمر' العربي بن مهيدي'. لم تحضره البعثة الخارجية للجبهة بسبب تعذر الوصول الى مكان انعقاده و بقوا ينتظرون نتائجه في ' سان ريمون' بايطاليا و ليبيا . تعتبر قرارات هذا المؤتمر وثائق الثورة الايديولوجية الهامة كما تعتبر نتائجها من العوامل الاساسية التي دفعت الثورة الى الامام وأرست قواعد القيادة الجماعية على اسس متينة. تنوعت هذه القرارات الى عسكرية و سياسية شملت تجديد نظام جيش التحرير و تحديد اهداف الثورة من الحرب و نظام الجبهة السياسي و خططها و منظماتها و العلاقات بين جيش و جبهة التحرير و بين الداخل و الخارج.

انبثقت عن هذا المؤتمر هيئات سياسية لتنظيم الثورة أهمها:

أ – المجلس الوطني للثورة الجزائرية و يتألف من اربعة و ثلاثين (34) عضوا نصفهم دائمون و النصف الباقي مساعدون و يعتبر هذا المجلس اعلى جهاز للثورة يوجه سياسة جبهة التحرير الداخلية و الخارجية و هو الهيئة الوحيدة التي لها الحق في ان تتخذ ماتشاء من القرارات الحاسمة التي تتعلق بمستقبل البلاد و هو صاحب الحق في اصدار الامر بوقف اطلاق النار او مواصلة الحرب.

ب– لجنة التنسيق و التنفيذ: و تتالف من خمسة أعضاء أختيروا من المجلس الوطني الجزائري و هي مجلس الحرب الحقيقي للثورة ، مسؤولة عن توجيه و ادارة جميع فروع الثورة و اجهزتها العسكرية و السياسية و الدبلوماسية و لها كامل السلطة على جميع هيئاتها و منظماتها. جميع القادة السياسيين و العسكريين الذين يباشرون النشاط الثوري في جميع الولايات مسؤولون أمامها مثلما هي مسؤولة أمام المجلس الوطني للثورة .أوصى المؤتمر بتاليف مجموعة من اللجان المختلفة محليا (12) للسهر على مصالح الثورة و الشعب و تطبيق قرارات المؤتمر و كلها خاضعة للجنة التنسيق و التنفيذ و هي:

- لجنة الدعاية والأخبار.
- اللجنة الاقتصادية.
- اللجنة النقابية.
- اللجنة السياسية.

(12) الدكتور يحي بوعزيز 'مرجع سابق ' الصفحة 296.

قسمت الولايات الى ستة ووضع لكل ولاية حدودها من جميع الجهات حتى لا يحدث خلاف أو نزاع بين المسؤولين على هذه الولايات و هي :

الولاية الاولى: الاوراس – النمامشة.

الولاية الثانية: االشمال القسنطيني.

الولاية الثالثة: بلاد القبائل.

الولاية الرابعة: الجزائر الوسطى و ما جاورها.

الولاية الخامسة: تشمل عمالة وهران كلها.

الولاية السادسة: و تشمل الصحراء الجزائرية و حدودها.

قسمت كل ولاية من الولايات الست الى عدة مناطق، و كل منطقة مقسمة الى عدة نواحي و كل ناحية مقسمة الى عدة قسمات.

– كل ولاية يراسها قائد برتبة صاغ ثاني و يساعده نواب ثلاثة برتبة ضابط أول و كاتب برتبة مساعد.

– كل ناحية يتولاها قائد برتبة ملازم ثاني و يساعده نواب ثلاثة برتبة عريف أول و كاتب برتبة عريف.

– كل قسمة يتولاها قائد برتبة مساعد و يساعده نواب ثلاثة برتبة عريف أول و كاتب برتبة جندي أول.

قرر المؤتمر مبدأ العمل الجماعي و القيادة الجماعية و طلب الى كل الهيئات و المنظمات التابعة لجبهة التحرير الوطني ان تحترم هذا المبدأ و تطبقه تطبيقا كاملا ووضع لكل من الولاية و المنطقة و الناحية و القسمة هيئات قيادية متشابهة في النظام.فهيئة قيادة كل ولاية تتالف من ستة (06) أشخاص هم: (13) الرئيس و هو قائد الولاية و المساعد العسكري و هما يمثلان السلطة المركزية لجبهة التحرير الوطني و ضابط الاخبار و الاتصال و الاستعلامات و ضابطان للشؤون العسكرية و ضابطان للشؤون السياسية و هؤلاء الضباط الثلاثة يختارون من بين الضباط الصغار أو الكبار للقيام بهذه الشؤون.

أما الجيش فقد قسم الى قسمين رئيسيين: (14)

أ – المجاهدون : و هم الجنود الذين يرتدون اللباس العسكري و يعتبرون القوة الضاربة لجوش التحرير. يقاتلون العدو في كل الميادين و يباشرون كل أنواع حرب الكمين و المواجهة.

---

(13) الدكتور يحي بوعزيز 'مرجع سابق ' الصفحة 324.

(14) الدكتور يحي بوعزيز 'نفس المرجع السابق الذكر و نفس الصفحة .

ب- القسم الثاني: لا يرتدي اللباس العسكري و يشتمل على صنفين:

* المسبلون: و هم قوة احتياطية لجيش التحرير ينتظر أفرادها دورهم للتجنيد و يقومون بتموين جيش التحرير و تزويده بالاخبار و الحراسة و نقل المؤن و الذخائر و العناية بالجرحى و مراقبة تحركات العدو و مساعدة جيش التحرير في تنقلاته من جهة الى أخرى و اغتيال الخونة و المتعاونين مع الاستعمار فهم أعين الثورة.

* الفدائيون : و هم طاقة الثورة و الكفاح المسلح في المدن و القوى يواجهون الموت و الاخطار بشجاعة يغيرون على مكاتب الشرطة و الدرك و يقومون بنسف الادارة الاستعمارية و الاندية و المحلات التجارية و الحانات و يغتالون الخونة و المعمرين و يقومون بمهمة الاستخبارو الاستعلام و تزويد الثورة بالمعلومات الضرورية . أما وحدات الجيش فقد خضعت للتنظيم العصري العسكري اذ ذكر " محمد حربي " انه نظم كالاتي :

- الفوج : يتركب من 11 جندي من بينهم عريف واحد و جنديان أولان.
- نصف فوج: يتركب من 5 جنود بينهم جندي أول.
- الفرقة: يتركب من 35 جندي معناه ثلاثة أفواج مع رئيس الفرقة و نائبه.
- الكتيبة: تتركب من 110 جندي أي ثلاثة فرق.
- الفيلق: يشمل 350 جندي أي ثلاثة فرق مع عشرين اطارا.

حددت الجبهة العلاقة بينهما و بين الجيش فاعطيت الاولوية للهيئة السياسية لتشرف على الهيئة العسكرية و يرجح الحكم السياسي على العسكري، و لكن على جميع المسؤولين السياسيين و العسكريين في جميع مراكز القيادات ان يحرصوا على حفظ التوازن بين جميع فروع الثورة و يتذكروا دائما أنهم ينتمون كلهم لتنظيم واحد يعمل من أجل تحرير البلاد.كما حددت العلاقة بين الداخل و الخارج فاعطت الاولوية للهيئة الداخلية لتشرف على الهيئة الخارجية، لكن مع التزام الهيئة الداخلية بالاخلاص و التجرد التام في العمل و الحكم مادام أعضاء الهيئتين يعملان في نفس الاتجاه و لتحقيق نفس الاهداف.

و لتنظيم الشعب و تنسيق جهوده شكلت جبهة التحرير الوطني اللجان الثلاثية (15) التي تنشأ في كل قرية لتنظيم خلايا جبهة التحرير الوطني . و هذه اللجان الثلاثية هي التي يطلق عليها اسم المنظمة السياسية الادارية ". تؤسس في كل قرية و دوار و مدينة لضم الشباب و الشيوخ و الفتيات و يتبعها المسبلون و يقوم المفوض السياسي بارشاد هذه اللجان و ابلاغها أخبار الثورة و تعليماتها و تتولى هي جمع أعضاء الخلية للاجتماعات الى جانب الاشراف على عمليات تنظيم المدنيين داخل اللجان الثلاثية. يقوم المفوض السياسي بالدعاية لجبهة و جيش التحرير الوطني و نشر أخبار و تعليمات الجبهة و الجيش

(15) الدكتور يحي بوعزيز 'مرجع سابق ' الصفحة 325.

و اخطر مهمة يقوم بها المفوض السياسي هي مقاومة الحرب النفسية التي يحاول الاستعمار نشرها بشتى الوسائل سواء الترهيبية كالابادة الجماعية أو الترغيبية عن طريق اغراء الشعب بتحسين أوضاعه المادية و الاجتماعية و هذا لفصل الشعب عن الثورة و قطع التأييدات عنها . و كان الآستعماريون يضغطون على الشعب نفسيا بحيث يصفون الثورة و مخططيها بالمجرمين و الفلاقة و الخارجين عن القانون و قطاع الطرق و غيرها من الصفات الذميمة التي يطلقونها على الثورة و المجاهدين.هنا يصبح دور المفوض السياسي مهما و يجب ان يستعد لمقاومة هذه الحرب النفسية بكل الوسائل . و اهم هذه الوسائل هي التحلي بالسيرة الحسنة و الاخلاص و على الجنود و الضباط و قادة الوحدات ان يتجنبوا كل ما يسيء الى سمعتهم لان ذلك يساعد على تعميق الفكر الثوري في أذهان الشعب وخاصة معاملة الأسرى بالحسنى إلى جانب التكفل بالأمور المالية وعمليات التموين .

طرحت جبهة التحرير الوطني كيفية تنظيم وقيادة ملايين الرجال للكفاح المسلح وركزت على تنظيم هذا العمل في أربع مجالات هي :

على المستوى الداخلي : اعتمدت الجبهة في نشر الوعي الوطني وتعبئة الشعب بكل فئاته على تنظيم محكم لمختلف أجهزتها أوهياكلها بحيث عمدت إلى تنظيم خلايا للجبهة في كل الوطن إلى جانب بث الروح السياسية بين المواطنين ونشر الوعي السياسي بين كل المناضلين ، والإعتماد في العمل على إطارات مدربة ومحنكة سياسيا تستطيع أن تحافظ على هيكل الجبهة وأن تبتكر الطرق والوسائل الصالحة في ميدان الكفاح وترد بوضوح وبسرعة على جميع الأكاذيب وإستنكار أعمال الإستفزاز وتعريف أوامر جبهة التحرير الوطني عن طريق توزيع منشورات في جميع القرى المحاصرة من طرف الإستعمار ، وهو ما عبر عنه بيان أول نوفمبر بفكرة نشر الوعي السياسي في مراكز الثورة . وكانت أهم مهمة للجبهة على المستوى الداخلي هي عملية التطهير السياسي وذلك بالقضاء على الحواجز التي وضعتها بعض العناصر المناهضة للثورة . وقد اتخذت الجبهة هذا المبدأ في برنامج الصومام عام 1956 حتى تسهل على نفسها المهام الجديدة للثورة . وعملية التطهير السياسي هذه تهدف إلى تصفية الأجواء السياسية من كل الحركات والأحزاب الإصلاحية سواء المحافظة منها أوتلك المعتدلة . ولم تكن تقل عنها أهمية مهمة تنظيم الطاقات الشعبية داخل حركات جماهيرية مادامت الثورة للجميع ومن أجل الجميع وبالجميع وعلى هذا شكلت الحركات التالية :

أ – الحركة الفلاحية : نظرا للعدد الهائل للفلاحين وفعاليتهم في الكفاح المسلح خاصة وأنهم كانوا يمثلون النسبة الكبيرة من المجاهدين والمسبلين في جيش التحرير الوطني، فإن جبهة التحرير الوطني رأت ضرورة تنظيمهم داخل حركة شعبية بواسطة :(16)

(16) بيان اول نوفمبر

- تكوين قوات إحتياطية لا تنفذ لجيش التحرير والمقاومة .

- نشر عوامل الخطر والفزع في البوادي عن طريق إتلاف المحاصيل الزراعية وتخريب الجمعيات التعاونية للتبغ والخمور .

ب - حركة العمال : أوكلت الجبهة للإتحاد العام للعمال الجزائريين القيام بمهام عدة أهمها :

- تقوية ودعم الكفاح وتنظيم حركة المطالب عن طريق الإضراب المحدد والإضراب من أجل التضامن .

- دفع العمال إلى المطالبة الواسعة أي التحدي إلى المطالبة بتحقيق الحرية والعدالة الإجتماعية.

كما أن إحياء ميلاد الإتحاد العام للعمال الجزائريين يكون بمثابة رد فعل ضد التأثيرات التي تمارسها النقابات الغربية ذات الإتجاه الإشتراكي على العمال الجزائريين .

ج - حركة الشباب : يمثل الجانب الأعظم في صفوف الجبهة وهم بذلك الركن الهام في المقاومة فهذا الشباب مهيء بحكم الظروف التي يمر بها للنضج الفكري المبكر وتحمل المسؤوليات .

د - في أوساط المثقفين والمهذبين المستقلين : حصرت جبهة التحرير الوطني مهمتهم الأساسية فيمايلي :(17) وذلك إستنادا إلى ثقتها بهم .

- تكوين لجان نشاط من بين المثقفين للقيام بالدعاية لكسب التأييد للثورة وتحقيق الإستقلال عن طريق الإتصال بالديمقراطيين والفرنسيين الأحرار وفتح إكتتابات لمساعدة الثورة .

وكان على جبهة التحرير الوطني أن تسند إليهم مهام سياسية وإدارية وثقافية وصحية لكسب ثقتهم وتأييدهم . أما في المجال الصحي فركزت على تنظيم مصالح صحية يكون فيها أطباء جراحين ومختصين لمساعدة المجاهدين والمواطنين . أما في الميدان الصناعي والتجاري فقد عملت الجبهة على مساعدة الإتحاد العام للتجار الجزائريين إلى جانب الإتحاد العام للعمال الجزائريين عن طريق مكافحة الضرائب ومقاطعة كبار التجار الإستعماريين الذين يمونون الحرب الإستعمارية .

أثبتت المرأة الجزائرية فعاليتها وقدرتها على النضال مما أستحقت إهتمام الجبهة التي أوكلت لها عدة نشاطات تمحورت حول :

- موازرة المحاربين - إيصال الأخبار للمجاهدين وإيصال الغذاء والتموين والدواء وغيرها - مساعدة الأسر التي ضحت بأبناءها وكذا أسر المعتقلين .

(17) بيان اول نوفمبر.

المبحث الثالث
وسائل الكفاح على المستوى الخارجي

أعتمد الجزائريون على أنفسهم وإمكانياتهم المتوفرة في بداية الثورة ولكنهم طمعوا في كسب التحالفات الخارجية سواء العربية ، المغربية أو الأوروبية خاصة الرأي العام الفرنسي دون أن تستغني عن الرأي العام العالمي بحيث ترى الجبهة أنه من الخطأ النظر إلى جميع الأوروبيين واليهود بالجزائر نظرة واحدة ، فهم يختلفون في مواقفهم إزاء القضية الوطنية. وقد آنقسمت ردود أفعالهم إلى ثلاثة (18):

- الفئة الأولى : هي الجماعة التي أخذت بفكرة الحياد وتركت الإستعماريين يدافعون عن إمتيازاتهم لوحدهم .
- الفئة الثانية : وهم أنصار الحل الوسط أي التفاوض لإنشاء جماعة جزائرية تكون وسطا بين الإستعمار الفرنسي والوطنيين الجزائريين عن طريق كسب جنسية مزدوجة .
- الفئة الثالثة : وهي الجماعة التي قبلت إستقلال الجزائر والجنسية الجزائرية مع الإعتراض ضد التدخل الأمريكي والبريطاني .

- نشاط جبهة التحرير الوطني في فرنسا :

علقت الجبهة أهمية على المساعدة التي يمكن أن تقدمها الطبقة العاملة الحرة من الشعب الفرنسي الذي لم يكن مطلعا بكفاية على ما يرتكب بآسمه من الجرائم . ويذهب بيان أول نوفمبر إلى حد الإقتناع بتأييد هذه الفئة إنجاحه فيه :"وما من شك في أن جبهة التحرير الوطني تعلق نوعا من الأهمية على المساعدة التي يمكن أن تقدمها لقضية المقاومة الجزائرية الطبقة المتفتحة من الشعب الفرنسي ".(19)
إنطلاقا من هذا الإقتناع أوصت الجبهة بإجراء إتصالات سياسية مع المنظمات والحركات واللجان القائمة ضد الحرب مثل الصحافة والإجتماعات الشعبية والإضرابات التي تنظم ضد ترحيل الجنود وشحن الآلات والذخائر الحربية .

(18) الدكتور يحي بوعزيز "مرجع سابق " الصفحة 339.

(19) بيان اول نوفمبر.

إلى جانب تقديم مساعدات مالية عن طريق التضامن مع المقاومين وتنظيم الهجرة الجزائرية بفرنسا وتعبئة العمال الجزائريين لمواجهة الحركة الوطنية الجزائرية لمصالي المنظمة المنافسة لجبهة التحرير الوطني . دون أن تنسى أهم عملية وهي إثارة الرأي العام الفرنسي والعالمي عن طريق نشر أخبار الثورة في الجزائر عبر الصحف والمجلات . أما في الشمال الإفريقي فقد ركزت الجبهة على تحقيق الأمور التالية : (20)

– تنسيق السعي بين حكومة تونس وحكومة المغرب الأقصى للضغط على الحكومة الفرنسية ديبلوماسيا.

– توحيد النشاط عن طريق تشكيل لجنة تنسيق بين الأحزاب الوطنية الشقيقة و جبهة التحرير الوطني إلى جانب التضامن بين النقابات في بلدان المغرب العربي وكذا إتحادات الطلبة.

لم تكتف الثورة الجزائرية بجلب التأييد على المستوى الفرنسي أو العالم العربي وإنما تعدت إلى المستوى العالمي . فقد حطمت جهود جبهة وجيش التحرير أسطورة "الجزائر فرنسية" والفضل يعود في ذلك إلى مؤتمر باندونغ والدورة العاشرة لهيئة الأمم المتحدة ، فقد حمل مؤتمر باندونغ الدول المشاركة فيه على إستعمال ضغط سياسي وديبلوماسي وإقتصادي مباشر ضد فرنسا وضد مساعيها في هيئة الأمم المتحدة عن طريق :(21)

– السعي الحثيث للحصول على تأييد الدول والشعوب الأوروبية بما في ذلك البلاد الشمالية والديمقراطيات الشعبية وكذا بلدان أمريكا اللاتينية .

– الإعتماد على المهاجرين العرب في أمريكا اللاتينية، ولهذا عززت الجبهة وفودها المكلفة بالمهام الخارجية وأصبح لها مكتب دائم لدى هيئة الأمم المتحدة ووفود ومكاتب عديدة في البلدان الآسيوية ووفود متنقلة في مختلف الدول والعواصم لإقامة الدعاية للثورة والمشاركة في المؤتمرات والتجمعات العالمية منها والثقافية إلى جانب الدعاية المكتوبة التي تعتمد على نشر التقارير عن الثورة وعرض الأشرطة الوثائقية والأفلام .

جاء إفتتاح إذاعة "صوت الجزائر الحرة" المكافحة صوت جيش و جبهة التحرير الوطني التي كانت تذيع أنباء وأخبار جيش التحرير وإنتصاراته عام 1957 بمثابة تطور جديد في تاريخ الثورة ووسيلة جديدة للكفاح .

(19) بيان اول نوفمبر.

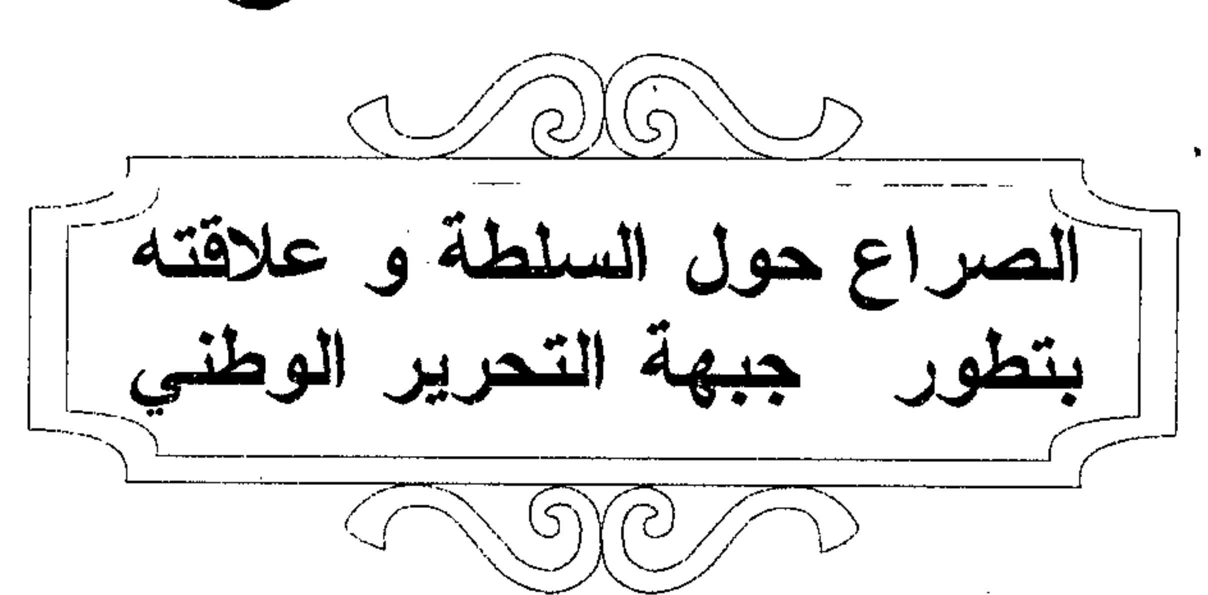
(20) الدكتور يحي بوعزيز "ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20 مرجع سابق " الصفحة 341.

(21) الدكتور يحي بوعزيز "نفس المرجع " الصفحة 343.

فقد نجحت الجبهة بواسطة هذه الإذاعة في دعوة الشعب للقيام بإضراب ثمانية (08) أيام الشهير والذي كان له أثر فعال على المستوى الدولي بحيث جعل الجمعية العامة لهيئة الأمم تصادق بالإجماع يوم 15 فبفري 1957 على قرار أعربت فيه عن إعترافها بمعاناة الشعب الجزائري ودعت إلى إيجاد حل سلمي ديمقراطي عادل للمشكلة الجزائرية بوسائل ملائمة طبقا لمبادئ ميثاقها . تلا هذا التطور في وسائل وأساليب الكفاح والمقاومة تطورات أخرى تمثلت في عقد عدة مؤتمرات للمجلس الوطني للثورة الجزائرية وفتح جبهات قتال جديدة كجبهة الصحراء وجبهة العمليات الفدائية في فرنسا . آمتدت الثورة وتوسعت عام تدويلها في 1958 إلى قلب فرنسا بحيث قام الفدائيون ليلة 24 أوت 1958 بعمليات نسف وتخريب في معظم أنحاء فرنسا آستهدفت المنشآت العسكرية والإقتصادية .(22)

(22) الدكتور يحي بوعزيز 'مرجع سابق ' الصفحة 350.

الفصل الرابع



لا يمكن تحليل أزمة صيف 1962 وكذا توضيح موقف الحزب منها دون العودة إلى البدايات الأولى لهذه الأزمة التي ظهرت على مستوى هياكل الجبهة منذ تأسيسها .فقد حدث خلاف بينها حول السلطة أي حول من يقود البلاد بعد الإستقلال ؟ فقد تنازعت هياكل الجبهة السياسية والإدارية حول الشرعية في السلطة .

كما هو معلوم فإن الحركة الوطنية الجزائرية لم تتبن نفس الآراء و لم تدافع عن نفس المطالب و الطموحات و إنما إنقسمت إلى إصلاحيين معتدلين و ثوريين متطرفين و أن إخفاق الطرق الشرعية التي تبناها الإصلاحيون سواء الإسلاميون أو الإندماجيون الليبيراليون و تطرف الثوريين و تصارعهم حول الزعامة الشكلية للتيار الثوري أعطى الفرصة لظهور جماعة محايدة عن كل الأطراف المتنازعة خاصة داخل التيار الثوري قررت مباشرة الكفاح المسلح دون إستشارة أي طرف ودعت للإنضمام إليها بصورة شخصية بعيدة عن كل إنتماء حزبي أو إيديولوجي . ولهذا فإن التحالف المؤقت الذي أملته ظروف تلك الأحزاب لم تتوحد سوى لظرف معين ، وتركت مسألة مناقشة الشرعية وتحديد طبيعة النظام السياسي في الجزائر لما بعد الحرب وتحقيق السيادة ، وهذا لكون تلك التشكيلات السياسية الوطنية آنطلقت من منطلقات إيديولوجية مختلفة ارتبطت بالبيئات الإجتماعية التي تنتمي إليها و من نماذج الثقافة التي نهلت منها ومختلف التيارات السياسية التي تأثرت بها وآستمدت أفكارها منها وبنت فلسفتها السياسية عليها . وعليه فإن عمليات الإنضمام لجبهة التحرير الوطني وقعت تحت ظروف معينة منها ضغوط بعض المناضلين على قادة الحركات التي كانوا يناضلون في إطارها أولأسباب ذاتية نفسية تعلقت بالشعور باليأس والإحباط من فشل الأساليب الدبلوماسية لمعارضة الإحتلال وتطاحن قيادة التيار الثوري فيما بينهم حول السلطة .

المبحث الأول

الجذور الأولى لأزمة صيف 1962

تجد أزمة جبهة التحرير الوطني لصيف 1962 جذورها الأولى في التناقضات الداخلية التي عاشتها أحزاب الحركة الوطنية بسبب الإختلافات المذهبية بينها والتباين في أساليب التفكير والعمل والمعارضة . منها كما سبقت الإشارة إليه ، من أتبع أسلوب اللين والمهادنة وهم أنصار التيار الإندماجي الإصلاحي ومنها من سلك السبيل الثوري العنيف المتشدد حول قضية الإستقلال وتكوين جمهورية جزائرية مستقلة تماما . غير أن الجذور العميقة لهذه الأزمة تكمن في أزمة التيار الإستقلالي (الثوري) الذي نتج عنه ظهور قوة ثالثة محايدة انتصر نشاطها على الصراع الدائر . هذه الفترة الحاسمة في تاريخ الثورة الجزائرية عرفت بدورها صراعات بين المؤسسين التاريخيين للثورة والجبهة إذ يؤكد 'محمد حربي' في هذا الإطار أنها < حدثت تباينات في السياسة التي يجب إتباعها . وكان ذلك يحدث رغما عن إرادتنا ، كانت الظروف هي التي قادتنا إلى حيث وصلنا وهي التي أرغمت المسؤولين على مواجهة الأخطار بالشكل الذي تظهرفيه وعلى إتباع سياسة دوام >. (1) فقد حكم على الجبهة بعدم القدرة على السير المحكم للثورة وهذا عكس ما رددته أدبيات الثورة الرسمية والتي تصفها بالإنسجام في العمل وتجانس أفكار المناضلين داخل الجبهة . فقد كانت تفتقر لقيادة وبرنامج كفيل بالإجابة على كل المسائل التي يمليها تسيير الحرب وتنظيمها . لقد كانت مهمة 'محمد بوضياف' التنسيق بين المناطق ، ولما ذهب إلى الخارج حيث أسس فيديرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني واستقر هناك قال عنه العربي بن مهيدي :< إنه يصطحب سيادة جبهة التحرير الوطني حيث تقوده قدماه>.(2)

يعني هذا أن الأعضاء المؤسسين للجبهة لم يكونوا يعملون بشكل جماعي وديمقراطي بل استمر الحكم الفردي وتمركز السلطات في يد شخص واحد . ولما رحل'بوضياف'إلى الخارج ،صارت جبهة التحرير الوطني وجهازها العسكري جيش التحرير يعتمدان على التجريب لأن لم تكن هناك إستراتيجية محكمة الأهداف ومحددة الوسائل . فكان كل مسؤول يبادر بالعمل دون إستشارة الجماعة ومنها جاء القول بأنه تواجدت ست سياسات مختلفة وست ولايات مختلفة .

(1) محمد حربي مرجع سابق الصفحة -146-

(2) محمد حربي نفس المرجع الصفحة -147-

هذه التناقضات الداخلية للجبهة دفعت لعقد مؤتمر الصومام لمعالجة الأخطاء التي ظهرت ودراسة نقاط ضعف هذا التنظيم وإثبات الطابع الشرعي الشعبي للثورة . وقد ناقش هذا المؤتمر مسألة إعداد برنامج وهياكل للجبهة وتنظيم الثورة والخروج من مرحلة الفوضى والتلقائية في تسيير الثورة إلى التنظيم والتخطيط للعمليات الثورية . ترأسه 'العربي بن مهيدي' ولم يحضره أعضاء البعثة الخارجية للجبهة لصعوبة الوصول إلى مكانه و بقوا ينتظرون نتائجه في 'سان ريمون' بايطاليا و في ليبيا (3) . و اذا كان هذا رأي الدكتور 'يحي بوعزيز' فان 'محمد حربي' ، له رأي آخر حيث يقول بأن < التناقضات الداخلية للجبهة آنفجرت من جديد خلال مؤتمر الصومام حيث سلم ' أحمد بن بلة' أحد الحاضرين في المؤتمر جوابا (رسالة) للجنة التنسيق و التنفيذ تضمن اعتراضاته المتمثلة في: أن المؤتمر لم يكن له طابعا تمثيليا لان كل من الاوراس و البعثة الخارجية و ولاية وهران و المناطق الشرقية لم تحضره و حتى فيديرالية فرنسا - اعادة النظر في الطابع الاسلامي لمؤساستنا السياسية القادمة أي رفض علمانية الدولة و بالتالي رفض اتاحة مكان فيها للاقلية الاوربية - وجود مسؤولي احزاب قدامى داخل الهيئات القيادية > (4) الا أن توقيف 'حسين آيت احمد ' و ' محمد خيضر' و ' محمد بوضياف ' و ' احمد بن بلة' و 'رابح بيطاط ' بتاريخ 22 أكتوبر 1956 في الطائرة بالجزائر و التي كانت ستنقلهم من الرباط الى تونس خفف من مخاطر الانقسام. ' فاحمد بن بلة ' كان مصمما على المواجهة .

لكن أخطر الصراعات هي التي حدثت في تونس حيث أقام 'محساس' في نهاية 1956 وكان ينوي تعبئة منطقة الاوراس و النمامشة و وادي سوف و سوق اهراس ضد لجنة التنسيق والتنفيذ (5) . لم يكن يسود عمل الجبهة الطابع الديمقراطي على الرغم من أن أدبيات الثورة كانت تردد مبادىء القيادة الجماعية ورفض التسلط و الشخصية الكارزماتية . و قد أكد ' محمد بجاوي' على انه < كان بعض الاخوة يعتبرون ' فرحات عباس ' و ' أحمد فرنسيس ' و ' توفيق المدني' الاعضاء السابقين في الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والعلماء قادة شكليين و يجب ان لاتكون لهم أية سلطة حقيقية وكان أخوة اخرون لا تزال تعميمهم عصبية قدامى المنظمة الخاصة و اللجنة الخاصة و اللجنة الثورية و نفس الشيء بالنسبة ' لبن يوسف بن خدة ' و ' بن يحي' و ' محمد يزيد' لا يجب اعطاؤهم غير مسؤوليات شكلية على اساس أنهم مركزيون سابقون> (6).

---

(3) الدكتور يحي بوعزيز مرجع سابق الصفحة -319-
(4) محمد حربي مرجع سابق الصفحة -153-
(5) نفس المرجع الصفحة -162-
(6) نفس المرجع و نفس الصفحة

لكن النزاع أشتد حين أتخذ طابعا عرقيا و استغلت الادارة الاستعمارية هذا الوضع لتفرق بين العرب و البربر و فسرت الصراعات الداخلية للجبهة من هذا الباب. لما رحلت لجنة التنسيق و التنفيذ الى الخارج في نهاية جوان عام 1957 غادر " كريم بلقاسم " الجزائر و هو ينوي ان يعود و السلطة بيده و بقي بعد استشهاد " العربي بن مهيدي " الوحيد في لجنة التنسيق و التنفيذ من مؤسسي الجبهة.

تخلى " كريم بلقاسم " عن الاطروحات التي دافع عنها خلال مؤتمرالصومام و سعى للتصالح مع " محمد بوضياف " و " احمد بن بلة " و شن الحرب من جديد ضد المركزيين حلفاء " عبان رمضان" و دعا الى تجمع قادة جبهة التحرير الوطني في صف واحد ضد السياسيين. كان الصراع و التحالفات المضادة تتم بين القادة الاولين و الذين يعتبرون عسكريين أكثر من سياسيين و بين القادة السياسيين الجدد أي الملتحقين بالجبهة من المركزيين و الاندماجيين و العلماء و غيرهم. وكان الارهاب هو الفاصل بين نزاعاتهم الشخصية منها تصفية " عبان رمضان ". و قد سيطر العسكريون على الجبهة و ما يدل على ذلك ان توزيع المهام و تعيين القادة على الولايات لاخذ مكان (بوصوف- بن طوبال - كريم بلقاسم و محمود الشريف وعمران) لم تكن الهيئة التنفيذية هي التي تقرر جماعيا هذه المسائل و انما كانت التسوية تتم خارج هذه المؤسسات . وقد كتب " قايد أحمد " < أن الخمسة المذكورين هم الذين خلقوا قطاعات خاصة بكل منهم و من ذلك أغروا القوى المختلفة بخلق قطاعات خاصة بهم>(7) .

و بما أن أزمة صيف 1962 ظهرت على مستوى هياكل الجبهة السياسية و العسكرية هذا ومنذ نشأتها فماهي اذن ظروف تأسيس كل منها؟ فالتناقضات الداخلية لهذه الاجهزة والصراعات بينها أي بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية و هيئة الاركان العامة هي السبب المباشر لازمة صيف 1962.

أتسم الوضع العام بالقلق الذي نتج عن الخلافات الداخلية لاجهزة الجبهة و هذا مادفع 'عمران' عضو لجنة التنفيذ و التنسيق الى التشاؤم و الاشارة الى تعقد المسائل كصعوبة التموين بالسلاح و خسارة أو فقدان اطارات كفؤة و مكونة سياسيا وقمع رهيب أضعف الثورة ، خاصة وان مؤتمر الصومام الذي أنعقد بعد عامين من اندلاع الثورة لتوضيح خطى الثورة على طريق بناء المستقبل و تحديد منهج تسير عليه و معالجة بعض المواقف من القضايا المطروحة أعطى للثورة طابعا جماهيريا واسعا ، فلم تعد ثورة الفلاحين في الارياف و حدهم خاصة بعد انضمام البرجوازيين المعروفين بسياستهم المتخاذلة و المحايدة وبافكار البعض منهم الاصلاحية . هذه الاهتمامات كان لها تاثيرين مختلفين على الثورة: من جهة جمعت الثورة كل الاراء و المواقف المتباينة لصالحها و صارت ثورة شعبية بحق ان ضمت كل التيارات و الفئات الاجتماعية ومن جهة أخرى أختلفت الروح الثورية لدى الفلاحين و الريفيين الذين سئموا رؤية الملتحقين الجدد يتحكمون في تسيير الثورة بعدما كانوا لوحدهم يقودونها.

(7) محمد حربي مرجع سابق الصفحة -171-

وهذا لاختلاف المستوى الثقافي بينهم ، فالبرجوازيون تلقوا تعليما غربيا بحتا أو تعليما عربيا اسلاميا واسعا بينما الفلاحون في الارياف خاصة الفقراء مهم حرموا منهم . فقد أخرج مؤتمر الصومام الثورة من طابعها الريفي الفلاحي الى الطابع الجماهيري الواسع المتميز بالتناقضات بين مختلف المكونات الاجتماعية للجبهة - وهذا بطبيعة الحال - أدى الى اختفاء الروح الثورية و ظهور الروح البرجوازية و البيروقراطية و الوصولية. أمام هذه التناقضات الداخلية للجبهة قررت لجنة التنفيذ و التنسيق دون ان تدعو لانعقاد المجلس الوطني للثورة الجزائرية تشكيل حكومة مؤقتة يكون فيها كل من 'كريم بلقاسم' و ' عبد الحفيظ بوصوف' و' لخضربن طوبال' و تكـــون الحكومة المؤقتة مسؤولة أمامهم و يشكلون مركز القيادة و عين على رأسها ' فرحات عباس' و عين كل من ' أحمد بن بلة' و ' كريم بلقاسم ' نائبين له و 'محمد بوضياف' وزير الدولة و هكذا تولى الحكومة الاندماجيون و ليس المؤسسون التاريخيون للجبهة و الثورة . فهذا الجهاز الاداري أنشيء لتجاوز الخلافات الداخلية لاجهزة الثورة لكن وجودها تسبب في اشتداد النزاع أكثر ووسع دائرة الخلافات . لم تعد الحكومة المؤقتة النظر في سياسة الجبهة و لا في بنيتها التنظيمية اذ بقي الجانب التنظيمي ضعيفا مما انعكس سلبا على جبهة التحرير الوطني وظهرت عملية التصفية من جديد ، خاصة في أوساط المثقفين . فالصراع صار بين العسكريين الاميين و السياسيين المثقفين . هذه النزاعات الداخلية لجبهة التحرير الوطني حول السلطة و كسب الشرعية التاريخية في تأسيسها و قيادة الثورة أعطت الفرصة لظهور قوة ثالثة سيطرت على مجرى الاحداث ، فماهي هذه القوة الثالثة و ماهي ظروف نشأتها؟

لم تتمكن الحكومة المؤقتة التي تتركب بنيتها من مختلف اتجاهات الحركة الوطنية خاصة الاندماجيين و المركزيين و مؤسسي الجبهة من حل الازمة الداخلية لاجهزة الجبهة بسبب قيادتها من طرف ثلاثة شخصيات آختلفت مصالحها و هم ' كريم بلقاسم ' و 'عبد الحفيظ بوصوف ' و ' لخضر بن طوبال '. فقد كان لكل منهم اتباعه واستخباراته الخاصة وهذا معناه انعدام الاسلوب الديمقراطي ونفي القيادة الجماعية و أولوية المصالح الذاتية على المصلحة العامة. هذه الانقسامات بين القادة الثلاثة المسيطرين داخل جبهة التحرير الوطني أثرت على الاشخاص و عادت سياسة التحالفات و التحالفات المضادة للظهور، لكن هذه التحالفات لم تكن على اساس اعتبارات ايديولوجية بل على اسس اقليمية و عرقية أو مصلحية ذاتية و ظهرت ثلاثة مجموعات هي : مجموعة الشرق -مجموعة القبائل ومجموعة وجدة. (8)

(8) محمد حربي مرجع سابق الصفحة -195-

فقد انحرفت المصالح الحكومية عن وظائفها الحقيقية و جعلت من موظفيها يستفيدون من السلطة و راى فيها المقاتلون أجهزة خاصة هذه الانقسامات لم تساعد الحكومة المؤقتة على السير الحسن، فالاجهزة القائمة كانت استعراضية شكلية فحياة الجبهة السياسية كانت تدور خارجها. و القادة الثلاثة كانوا يبدون متحدين ضد السياسيين لكنهم منقسمون ومتصارعون بسبب الزعامة و كان كل منهم يطالب بها على ضوء الشرعية التاريخية ' فكريم بلقاسم ' عضو في لجنة الستة و' بن طوبال' و 'بوصوف' أعضاء في مجموعة الاثنين و العشرين (22) و كل منهما يعتبر نفسه المؤسس الحقيقي لجبهة التحرير الوطني. وقد اعترض' كريم بلقاسم'على تولي ' فرحات عباس ' رئاسة الحكومة.

مايمكن استنتاجه أن جبهة التحرير الوطني فقدت سيطرتها على الوضع منذ مؤتمر التنظيم' مؤتمر الصومام' حيث أصبحت لجنة التنفيذ والتنسيق هي الامرة و الناهية بالصرف ثم آنتقلت السلطة داخل الجبهة للثلاثي العسكري (كريم بلقاسم- بن طوبال - بوصوف) باسم الشرعية التاريخية لتأسيس الجبهة.ومع نشأة الحكومة المؤقتة انتقلت النشاطات السياسية من الجبهة اليها و هذا ماسبب نشوء الخلافات بين العسكريين والسياسيين والتي قادت العسكريين للاجتماع في صيف و بداية خريف عام 1959 واتفقوا على اعداد برنامج يحوي:

- اعداد نظام داخلي للجبهة، تعديل الحكومة المؤقتة وايجاد مخرج للازمة حيث ذكر الدكتور ' بوعزيز' أن هذا الاجتماع أنتهى بالمصادقة على ثلاثة لوائح: (9) حددت اللائحة الاولى السياسية العامة التي ستتبعها الحكومة المؤقتة في الميدانين الداخلي و الخارجي خاصة الحرص على صهر الحكومة في بوتقة واحدة و في اطار جديد أكثر تركيزا و ذلك بتحديد الوظائف الوزارية و جمع سلطات الدفاع في يد لجنة وزارية مضيقة. رغم محاولات التسوية هذه فانها لم تنجح لتعقد الخلافات الناجمة عن كون أطراف النزاع الثلاثة (كريم بلقاسم - بن طوبال - بوصوف)هم في نفس الوقت أعضاء في الحكومة المؤقتة و ينتمون للجهاز العسكري. و الثانية تضمنت التشكيلة الجديدة للحكومة المؤقتة الجزائرية وتضمنت اللائحة الثالثة تكوين اللجنة الوزارية الثلاثية الخاصة بالدفاع الوطني .

تضمن مشروع البرنامج الدفاع عن الافكار الماركسية التي تبناها 'عمر أوصديق' و 'فرانتز فانون' بخصوص ديناميكية الثورة فالقائد الرئيسي للثورة هم الفلاحون والعمال بإعتبارهم العنصر الأكثر حيوية في المدن لذلك يجب توسيع المجال أمام العمل النقابي في أجهزة القيادة بحيث يجب أن يكون في كل ولاية أو قسمة أومنظمة ممثلا للإتحاد العام للعمال الجزائريين . أما بالنسبة للطبقة المثقفة فقد تعايشت داخل الجبهة أطروحتين متناقضتين:

(9) الدكتور يحي بوعزيز مرجع سابق الصفحة -357-

الأولى بنت فلسفتها على أساس الإضراب الطلابي عام 1956 و أن الوطن يحتاج إلى كل أبنائه والأطروحة الثانية والتي تستثني الطبقة المثقفة من النضال والحرب لأنها تحتاج إلى خبرتهم ومعارفهم بعد الحرب خاصة وان هذه الفئة الإجتماعية تلعب دور الوسيط بين الفئة البرجوازية سواء العقارية أوالتجارية وبين فئة الفلاحين الفقراء . فحسب التحليل الماركسي هذه الفئة الوسطى كانت دائما في خدمة طبقة وهم يتحالفون مع الطبقة التي تسيطر على الأوضاع .وإذا لم تتمكن أي طبقة من أخذ السلطة فإنه بإمكان المثقفين التحكم في هذه السلطة والتسيير لصالح الطبقات الأخرى. (10) لكن في حالة الجزائرفإن هذه الطبقة المثقفة هي التي ربطت بين الفلاحين الفقراء وقسم من البرجوازيين الملتحقين بالثورة لتحقيق هدف الإستقلال الوطني . هذه العلاقة الترابطية بين فئات المجتمع الجزائري التي أملتها ضرورة الإتحاد حول برنامج الجبهة لإسترجاع السيادة الوطنية عكست البنية الإجتماعية الجزائرية التي تشكلت بفعل الإحتلال الأجنبي والتي تضم ثلاثة فئات رئيسية حتى لا أقول "طبقات إجتماعية" وهي : قسم ضئيل من البرجوازية العقارية والتجارية وطبقة مثقفة متوسطة من أوساط إجتماعية ميسورة الحال وفئة كبيرة وواسعة وهي فئة الفلاحين الفقراء الذين انحدروا إلى فئة شبه بروليتارية .

هل يمكن تفسير إختيار الفئة الفلاحية الفقيرة والأمية للكفاح المباشر والإبقاء على الفئة المثقفة لفترة ما بعد الحرب بمقياس طبقي ؟ يعني ذلك الدفع بالفلاحين إلى ساحات القتال،لنقص معارفهم أو إنعدامها ولفقرهم أم لكونهم الأكثر مقاومة لظروف الحرب القاسية، خاصة وأنهم تعودوا على ذلك. وإبقاء الفئة المثقفة ذات الجذور البرجوازية الصغيرة والفئات المتوسطة وتهيئتها للجزائر المستقلة حتى يتحكموا في مصير هؤلاء إعتبارا لتفوقهم المعرفي والمادي. لأن منافع الإستقلال لم تستفد منها الفئات التي ناضلت فعلا وإنما تلك الفئات الإنتهازية الوصولية وهي الفئة المثقفة.ثم بالنظر والتفحص الدقيق في القوانين الإستعمارية فإن الذين تمكنوا من تحصيل علمي عال هم أبناء الأسر البرجوازية الموالية للإدارة الفرنسية المهيمنة سواء في المدن أو الأرياف .يصعب هنا تحديد طبيعة هذا الصراع بين مثقفين برجوازيين وفلاحين فقراء أميين لأن مواثيق الثورة لم تعالج هذه المسألة ولم تتطرق إليها جبهة التحرير لأسباب إستراتيجية .بحيث كانت غايتها تحقيق الإستقلال بالحفاظ على الوحدة الوطنية . وأن التصريح بوجود هذا الصراع من شأنه تكسير الوحدة وإحلال الخلافات بين فئات المجتمع المختلفة وبالتالي خدمة الإستعمار وتكريسه بالجزائر.

(10) SOUAD MOKDAD, Opcit Page -43-

ولذلك فإن أهم ميزة حافظت على الثورة وأعطتها دعما كبيرا هو كتمان الخلافات الداخلية بين أجهزة الجبهة والحفاظ على السرية وقد تنبه لهذا العماد 'طلاس' الذي قال :< وهنا تبرز فضائل القادة التاريخيين التسعة الذين شقوا طريقهم السري والصامت من خلال الضجيج المرتفع الذي كانت تحدثه الصراعات السياسية والتمزقات الحزبية>.(11) فلولا أصالة الثورة الجزائرية وإرادة الثوار في تحقيق النصر لضاعت الجهود وفشلت الثورة .

فحين أدان الشعب الجزائري الإحتلال ونظامه التعسفي لم يشر إلى الأخطاء التي آرتكبها بعض قادة الحركة الوطنية ولم ينتقد طرق عملهم وهذا راجع إما للوضع الإستعماري الذي سيطر على البلاد وكانت الفكرة الوطنية تملي القضاء عليه دون البحث في أخطاء القادة أوضعف تسييرهم أوقد تعود لعدم تكامل نضج الشعب الجزائري ونقص وعيه السياسي ، فكان مدفوعا بظروف الظلم والقهر للثورة على الإحتلال دون الثورة على الممارسات السياسية لقادة الحركة الوطنية وحتى للذين توالوا على قيادة جبهة التحرير الوطني خلال الحزب التحريرية . فالشعب الجزائري لم يطالب بثورة ثقافية كالتي حدثت في الصين للقضاء علىتعسف النظام بل طالب بجهاد العدو وتصفية البلاد من وجوده فقط هذا إلى جانب ظروف الأمية وسياسة التجهيل التي فرضها الوضع الإستعماري على الجزائريين والتي لم تساعدها على تنمية وعيهم والإحتكاك بالفكر العالمي والإستفادة من النظريات السياسية والإيديولوجية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى والثانية على وجه الخصوص، للقضاء على الأفكار النازية والديكتاتورية والإمبريالية العالمية. فكل الإنتفاضات التي خاضها الجزائريون كانت عفوية تلقائية نابعة من ذات الفرد الجزائري الذي أحس بالإهانة والإستعباد.لذلك فإن جبهة التحرير الوطني حين ظهرت لم تسبق إلى التنظيم ووضع تصورات نظرية لكيفية المقاومة المسلحة ولا للتخطيط المستقبلي، بل كان عملها خاصة في البداية تلقائيا إرتجاليا وهذا ما جعلها تضعف أمام الهياكل الإدارية والعسكرية التي تشكلت بعد مؤتمر الصومام، كالحكومة المؤقتة ولجنة التنفيذ والتنسيق والمجلس الوطني للثورة وهيئة الأركان التنظيم العسكري الجديد. لكن جبهة التحرير الوطني رغم هذا الضعف في التنظيم منذ البداية والإختلالات في التسييرإلا أنها آستطاعت أن تجلب تعاطف غالبية الشعب الجزائري الذي أسقط إعتقاد فرنسا بإخضاع الجزائريين بالقوة. فمظاهرات 1960 كانت أكبر تحدي لفرنسا وجنودها وأبطلت كل تصور بالسيطرة على جيش التحرير،فهذه المظاهرات كانت :< ردا حاسما ضد استفزاز المستوطنين الأوربيين ومساومات الجنرال 'دوغول' الذي حاول في هذه الفترة خلق قوة ثالثة لمنافسة جبهة التحرير والنيل من نفوذها لدى الجماهير الشعبية ولبناء ما يسميه'الجزائر الجزائرية' دون جبهة التحرير الوطني>. (12)

---

(11) العماد مصطفى طلاس و بسام العسلي مرجع سابق الصفحة -9-
(12) الدكتور يحي بوعزيز مرجع سابق الصفحة -359-

وكان يعتقد بإمكانية تجنيدها من وسط البرجوازيين الذين استفادوا من مشروع قسنطينة، لكن هذه الفئة البرجوازية التي قصدها لم تحقق أحلامه ولم تقف في وجه الحكومة المؤقتة ولم تجد بذلك شركاء جزائريين يجنبونها المواجهة مع جبهة التحرير الوطني رقد عبر عن خيبة الأمل هذه الجنرال "موريس شال" بقوله: <...سوف تحاول الحكومة ودعامتها السياسية إنشاء حزب حيادي، قوة ثالثة معدة لإمتداح السياسة الحكومية،سياسة الإتحاد بين فرنسا والجزائر ورغم جهود ضخمة من جانب الإدارة فشلت القوة الثالثة ولم تتوصل يوما إلى إتخاذ حد أدنى من الوجود المتماسك>.(13)

دخلت مشكلة الجزائر مرحلةحاسمة خاصة بعد أن قبلت فرنسا -بفضل ضغط الثورة عليها- التفاوض مع الحكومة المؤقتة الجزائرية حول تحقيق الإستقلال وكيفية تطبيق تقرير المصير. وقد حصلت لقاءات "مولان" "إيفيان"و"لوغران". لكن هذه اللقاءات لم تمنع من طرح القضية الجزائرية في الأمم المتحدة في دورتها السادسة عشر من عام 1961. فخلال مفاوضات إيفيان الأولى في الفترة (20 ماي-13جوان 1961). مع جبهة التحرير الوطني ظهرت ثلاثة مواقف متباينة في أوساط القادة (14):

1- جعلت هيئة الأركان من حل الأزمة الداخلية أي الإعتراف بسلطتها على الولايات شرطا مسبقا لإفتتاح المفاوضات.

2- طالب "بن يوسف بن خدة" أحد القادة المعارضين للحكومة بدعوة المجلس الوطني للثورة الجزائرية للإنعقاد لتحديد أرضية المفاوضات بكل وضوح .

3- كانت الحكومة المؤقتة منافية لإنعقاد المجلس،لكنها تنازلت خوفا من تصلب أعضاءه، غير أن هيئة الأركان طالبت بالتمثيل في المفاوضات بعضوين واشترطت تلقي أمرا كتابيا للمشاركة.

حاولت هذه الهيئة حل ومعالجة الأزمة الداخلية قبل الشروع في التفاوض حول المسألة الوطنية وهذا ما كانت ضده الحركة الوطنية الثورية الممثلة في "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" ومن بعدها جبهة التحرير الوطني التي رغم كل نقائص التسيير وسيطرة الخلافات الداخلية على العمل الوطني استطاعت أن تقود المفاوضات التي انتهت باعتراف فرنسا باستقلال الجزائر.

---

(13) محمد حربي مرجع سابق الصفحة -231-

(14) محمد حربي مرجع سابق الصفحة -234-

ما يمكن استخلاصه مما تقدم أن أزمة جبهة التحرير الوطني التي عادت لتظهر من جديد في صيف 1962 كانت بسبب الصراع القائم بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان حول السلطة، فالعسكريون كانوا يحتقرون السياسيين ويعتقدون أنهم غير مؤهلين للحكم والتسيير 'فبومدين' كان يرى مستواهم السياسي منحدرا لا يرقى إلى مستوى روح المجلس الوطني للثورة الجزائرية ورفض تبني اتفاقيات -إيفيان- فالإختلاف بينهما كان لإسباب إيديولوجية وإختلاف في التصورات حول مستقبل الجزائر . هل يمكن تفسير هذا الخلاف على أساس صراع طبقي؟ بمعنى أن الهيئة والحكومة يمثلان طبقات معينة وتدافع عن مصالحها في وجه طبقات أخرى.

لم تذكر الأدبيات حول أزمة جبهة التحرير الوطني بين الحكومة المؤقتة والهيئة العامة للأركان أنها مسألة صراع طبقي أو إيديولوجي فكري بل أن الصراع كان حول السلطة وهوصراع أشخاص آختلفت وجهات نظرهم لمستقبل الجزائر وطرق العمل بعد الإستقلال وماهيه طبيعه النظام السياسي للجزائر المستقلة . قد تعود هذه الإختلافات في التصورلتباين المستوىالثقافي حيث أن أغلبية أعضاء الحكومة المؤقتة من حملة الشهادات العليا وذوي الثقافات الغربية بينما العسكريون فمستواهم التعليمي أقل ماعدا رئيس الهيئة العسكرية 'هواري بومدين' فهوحامل لشهادة ليسانس في الحقوق وهم أصغر سنا من أعضاء الحكومة وأقل تجربة منهم ،ولم يأتوا للثورة عن طريق قنوات سياسية كما هو الشأن بالنسبة لأعضاء الحكومة ولذا فإن تفكيرهم الإيديولوجي كان بسيطا وموجها للفلاحين الذين كانوا حربة الثورة الأولى. (15)

(15) مغنية الازرق مرجع سابق الصفحة -84-

قدم مؤتمر طرابلس المنعقد ما بين 16-12-1959 إلى 18-01-1960 أي الإجتماع الثالث للمجلس الوطني للثورة الجزائرية وجها آخر للصراع داخل الجبهة على أنه صراع إيديولوجي بالنظر إلى محرري البرنامج وهم (16):'محمد حربي' ماركسي شيوعي -و'محمد يزيد' مركزي و'مصطفى الأشرف÷ شيوعي وأستاذ جامعي. فقد قدم هذا البرنامج تحليلا مختصرا عن أحوال الجزائر الإقتصادية والإجتماعية والخطوط العريضة خاصة المتعلقة بالنظام السياسي والإقتصادي للجزائر المستقلة. كما أعطى تحليلا طبقيا بسيطا للمجتمع الجزائري ويتبين ذلك من خلال وصف جبهة التحرير الوطني التي تحظى بتدعيم الفلاحين الفقراء ضحايا الإستعماروالإستغلال وبروليتاريا المدن وهي مجموعة صغيرة نسبيا والمجموعة شبه البروليتارية وهي فئة إجتماعية متوسطة تتكون من الحرفيين والعمال اليدويين وغيرهم كالتجار الصغار الذين يطلق عليهم اسم البرجوازية الصغيرة.

أكد البرنامج على أن العامل والفلاح هما اللذان كانا القاعدة النشيطة للحركة وقد منحاها طابعها السياسي بصورة أساسية وعليه فالثورة شعبية وهي ذات توجهات اشتراكية طليعتها العمال والفلاحون . رغم حظوة البرنامج بالإجماع حفاظا على الوحدة الوطنية إلا أنه لم يقض على التناقضات الإيديولوجية بشأن مستقبل الجزائر وهذا ما أكدته أزمة صيف 1962.

(16) مغنية الازرق مرجع سابق الصفحة -84-

المبحث الثاني

الأسباب المباشرة لأزمة صيف 1962 وموقف الجبهة منها.

بدأت الأزمة إبتداءا من صعوبة التصويت على أعضاء المكتب السياسي فلم يكونوا متفقين حول المجموعة التي ينبغي إختيارها ،فقد تنافست على السلطة ثلاثة مجموعات (17):

1- مجموعة أحمد بن بلة الذي جمع تأييد من اثنين من رفاقه السابقين المسجونين وهما'محمد خيضر' و'رابح بيطاط'.

2- الحكومة المؤقتة التي تحظى بدعم فيديرالية فرنسا.

3- القادة العسكريون الثلاثة للولاية الثانية(شمال قسنطينة) والولاية الثالثة (القبائل) والولاية الرابعة (الجزائر) وكانوا يلومون "الهواري بومدين' لعدم إمدادهم بالسلاح.

إن الصراع حول السلطة داخل جبهة التحرير الوطني بسببالصراع حول بسط السلطة على مجموع الولايات بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان العامة خلقت نوعا من التحالفات بين قادة الثورة الجزائرية تمدنيين والعسكريين . وقعت التحالفات الأولى بين 'الهواري بومدين' رئيس الهيئة و 'أحمد بن بلة'. خلال هذه الفترة التي تميزت بالتحالفات بين الأشخاص والتحالفات المضادة.كانت اللجنة الثورية للوحدة والعمل منقسمة نتيجة الصراع الدائر بين القادة القدامى والمناضلين الجدد خاصة الشباب ونفس الشيء بالنسبة للعسكريين تجاه الحكومة المؤقتة والمكتب السياسي. فالإندماجيون السابقون أظهروا العداء للحكومة المؤقتة في حين أن المركزيين أيدوها. فرغم التفاهم الحاصل لتوحيد صفوف الثورة بهدف الإستقلال فإن ذلك لم يكبت إتجاهاتهم المتصارعة والمتعايشة داخل جهاز واحد. فقد قدم عضو في المؤتمر سبب انضمامه إلى مجموعة 'أحمد بن بلة' كالاتي: < كانت الحكومة المؤقتة تضم أيضا كثيرين من المعادين للإشتراكية ومن عناصر الثورة المضادة الذين كان من شأنهم أن يتركوا الفقراء في فقرهم >. (18).

---

(17) مغنية الازرق مرجع سابق الصفحة -84/85-

(18) مغنية الازرق مرجع سابق الصفحة -86-

يعني هذا أن الصراع قائم بين البرجوازيين الأغنياء والمدافعين عن الفلاحين الفقراء وهذا ينطوي على صراع طبقي ، لكن "مغنية الأزرق" لها موقف آخر حيث ترى بأنه لا يمكن أن تكون هذه العبارة كافية لتفسير الأزمة بمعيار إيديولوجي ولا يمكن تفسيرها على أساس إختلاف أنماط التطبيع الإجتماعي السياسي . لأن هذا التفسير يتجاهل دور الفئات الإجتماعية الديناميكية في الثورة ومهما كان إنتماء هؤلاء السياسيين فإنهم آنخرطوا داخل الجبهة من أجل الإستقلال الوطني. فالخلافات لم تكن واضحة لاعلى أساس طبقي أو ديني أومهني وحتى عرقي ، بل كانت هذه النزاعات نتاج أحداث تاريخية جعلت بعض القادة تختلف تصوراتهم السياسية إنطلاقا من تكوينهم السياسي ومستواهم الثقافي ومعتقداتهم الشخصية. إن عملية الإستعمار في حد ذاتها قضت على بعض الطبقات وخلقت طبقات أخرى جديدة . فقد ساهمت عمليات التراكم البدائية لرأس المال بالجزائر في خلق الشروط المادية لتحويل بعض الطبقات أو محوها نهائيا . كما سبقت الإشارة إليه . فالبيروقراطية التي ظهرت كطبقة جديدة في المجتمع الجزائري والتي تمثلت في الحكومة المؤقتة ، لم تكن عبارة عن مجموعة متجانسة فكريا وإجتماعيا وثقافيا ، بل تضم عدة إتجاهات متباينة وهي نتاج عملية القضاء على الإستعمار و محاولة تصفية وجوده من أرض الجزائر . فقبل ثورة أول نوفمبر 1954 ، كانت الحركة الوطنية تضم عدة إتجاهات سياسية لكن لم تكن هناك حكومة وطنية يمكن المشاركة فيها . فالعمل الإداري البيروقراطي للحكومة المؤقتة ، أعطى فرصة كبيرة للإتجاهات الثلاثة للحكومة المؤقتة للتسييس وإكتساب خبرة أكثر في الميدان السياسي . هذه الإتجاهات المتصارعة داخل الحكومة المؤقتة أي "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" "الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" و"اللجنة الثورية للوحدة والعمل" هي التي عادت وتسببت في تكرار أزمة الحركة الوطنية من جديد عام 1962 . جاءت الحكومة المؤقتة بطبقة جديدة تحكمت في السلطة ووطدت نفسها حتى ما بعد الإستقلال. هذا الإهتمام بتثبيت سلطتهم ما بعد الإستقلال جعل أعضاء الحكومة المؤقتة يرفضون التصويت على تشكيل مكتب سياسي وكان تخوفهم أكثر من أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل فقد كان يسيطر على جهاز الحكومة المؤقتة المركزيون السابقون غير أن أغلبيتها كانت من الإندماجيين. فأزمة الحكومة المؤقتة بين الإندماجيين ومجموعة "أحمد بن بلة" عبارة عن صراع بين فئتين إجتماعيتين متباينيتين إجتماعيا وفكريا . فالإندماجيون فئة إجتماعية ميسورة ومتعلمة تريد الوصول للحكم وتدعيم مراكزها السياسية بعد الإستقلال بينما فئة "أحمد بن بلة" كانت أقل تعليما منهم ومرتبطة بالفلاحين وينادون بالإشتراكية لتحقيق العدالة الإجتماعية . يرى الدكتور"سعيد بوشعير" أن المرحلة الإنتقالية تميزت بالإنقسامات داخل الجبهة والإتجاه نحو تركيز السلطة بيد مؤسسي اللجنة الثورية للوحدة والعمل وعلى رأسهم "أحمد بن بلة" الذي حظي بتأييد الجيش .

فالذي يعتلي السلطة في تلك الظروف لابد وأن يكون مؤيدا من قبل الجيش وهذا ما تفطن له "أحمد بن بلة" ومجموعته التي عارضت قرار حل هيئة الأركان العامة وعزل العقيد "هواري بومدين" والرائدين "علي منجلي" و "سليمان" الذي اتخذته الحكومة المؤقتة بتاريخ 28 جوان 1962 . يرى دائما الدكتور"بوشعير" أن الحكومة المؤقتة أخطأت بأتخاذها ذلك القرار في تلك الظروف بالذات . حيث مالت الكفة لصالح القوة المادية (19). فقد كان هناك مجموعة من الزعماء السياسيين المناوئين والذين يتمتعون بشعبية كبيرة ويتحينون الفرص لتولي السلطة بعد أن فقدت الحكومة المؤقتة مركزها الذي كان قويا بتأييد الدول والداخل لها خلال الحرب ، ثم أن الثقة التي كان يليها لها الجيش قد تزعزعت على اثر إيقاف إطلاق النار والشروع في التفاوض والإختلافات التي ظهرت بسبب شروط التفاوض وبالتالي لن يعتلي السلطة -في تلك الظروف- إلا من أيدته القوة الوحيدة والمنظمة أنذاك وهي الجيش الذي عمل "أحمد بن بلة" على كسبه خاصة هيئة الأركان الغربية أو كما أطلق عليها مجموعةوجدة نزعت الثقة من الحكومة المؤقتة ومن رئيسها بدلا من ان تنزع من هيئة الأركان ورئيسها "هواري بومدين" . فالحكومة المؤقتة حين دخلت الجزائر العاصمة يوم 3 جويلية 1962 لم تستطع مواجهة الإقتصاد المخرب والصعوبات الإجتماعية- ذلك الإرث الثقيل الذي خلفه الإحتلال الأجنبي - خاصة إختلاف القادة حول كيفيات إحتواء هذه التغيرات التي أحدثها الإستعمار الإستيطاني الذي غير البنى الإجتماعية التقليدية ببنى أخرى متفاوتة في المستوى الإجتماعي والثقافي وبالتالي متباينة إيديولوجيا . يرجع الدكتور"بوشعير" هذه الإختلافات في الآراء وطرق العمل إلى إختلافات ثقافات أعضاء المجلس ومصادرها (20). فمن خلال المناقشات التي دارت في اجتماع المجلس الوطني في طرابلس تباينت الآراء بشأن النظام الذي تسير عليه الجزائر وانعدام الإتحاد ووحدة الرأي وكثرت وجهات النظر وتباينت. فمنهم من اقترح نظاما برلمانيا يعتمد التعددية الحزبية ومنهم من فضل النظام الإشتراكي وحتى بالنسبة لهذا الإتجاه اختلفت الآراء ، منهم من اقترح تبني الإشتراكية المعتدلة لأنها تتماشى والقيم الإسلامية ومنهم من نادى بالأسلوب المتطرف تأثرا بالثقافة التي تكون في ظلها أو الحزب الذي كان ينتمي إليه أو حتى يتعاطف معه . مما حول الجزائر إلى ميدان للتجارب الفاشلة في معظمها لأنها لم تكن وليدة دراسات موضوعية علمية وميدانية وإنما وليدة نزوات شخصية أوقرارات صدرت عن مواقف إرتجالية .

---

(19) الدكتور سعيد بوالشعير مرجع سابق الصفحة -37-

(20) الدكتور سعيد بوالشعير نفس المرجع و نفس الصفحة

يتفق كل من 'سعيد بوشعير' والباحثة 'مغنيـــة الأزرق' على أن حكومة 'بن بلة' أعطت دفعا قويا للأزمة وصاعدت منها ، بحيث لم تكن هذه الحكومة شرعية وإنما كانت بفعل علاقات قوة مهدت لبروز نظام تسلطي ممارسة ويرفض الإعتداد بفكرة الدسترة والدستور وبالتالي الأخذ بالمذهب الدستوري . فقد فرض 'بن بلة' نفسه على السلطة بمنطق القوة العسكرية . وليس بمنطق الشرعية الدستورية . وكما هو معروف لم يخضع إنشاء المكتب السياسي للتقاليد الدستورية وإنما أنشئ بالقوة وهذا ما ضاعف نتائج الأزمة الخطيرة التي كادت تقود البلاد -التي خرجت من حرب طويلة وقاسية - إلى حرب اهلية . فرغم الإنتصارات العسكرية والسياسية التي أحرزتها الجبهة في مواجهة الإحتلال الأجنبي وقدرتها على فرض وجودها محليا ودوليا ، فإنها عجزت عن مواجهة الإنقسامات والنزاعات التي حدثت في أجهزتها السياسية والعسكرية وهذا ما عطل وأجل تسليم السلطة من الحكومة المؤقتة كهيئة مؤقتة إلى هيئة وطنية شرعية . إن جبهة التحرير الوطني التي تشكلت كمنظمة سياسية عسكرية للكفاح المسلح لم تهتم بتحديد بنياتها لتعمل كحزب له قيادة ونشاط معين وله نظام مستقل يتقيد به المناضلون وله مذهب عقائدي للتوجيه وله كذلك سلطة وطنية عليا قائمة على الدوام فوق الجميع لذلك آضطرت بعد الإستقلال لتفسح المجال لجيش التحرير لكي يحتل مكان الصدارة (21). فالجيش كان -في الفترة الإنتقالية - القوة الوطنية الوحيدة المؤهلة والمنظمة وخاصة الموحدة للسيطرة على مجرى الأمور وتسيير المرحلة الإنتقالية وفترة ما بعد الإستقلال . فالجبهة أضعفت موقفها النزاعات الداخلية بين أجهزتها -كما سبق الحديث عنها - فعلى المستوى الإداري وخاصة في الهيئة التنفيذية المؤقتة لم تعد السلطة بيد القادة التاريخيين الشرعيين وإنما بيد أشخاص كانت -في وقت من الأوقات- أفكارهم إصلاحية مهادنة للإحتلال ومعادية للأسلوب الثوري ، مما جعل الأمور تفلت من يد الجبهة ، خاصة بعد مؤتمر الصومام الذي أسفر عن تشكيل مؤسستين إداريتين للجبهة هما : المجلس الوطني للثورة الجزائرية ولجنة التنفيذ والتنسيق والذين أصبحا بأيديهما الحكم وإتخاذ القرار -فصارت حياة الجبهة تقرر خارجها - خاصة بعد ميلاد الحكومة المؤقتة كجهاز بيروقراطي ضخم ورحيل لجنة التنسيق والتنفيذ للخارج وظهور هيئة الأركان العامة كقوة بديلة سيطرت على مجرى الأحداث بسبب ظهور الضعف في الجبهة التي لم تستطع أن تفرض وجودها وأن يكون لها أهدافا مرسومة لا من أجل التخطيط لحرب التحرير فحسب بل من أجل إقامة سلطة عليا لاينازع فيها أحد بحيث تكون هي المحرك الوحيد للعمل من أجل البناء الوطني .

(21) مصطفى الاشرف مرجع سابق الصفحة -384-

يؤكد الأستاذ 'مصطفى الأشرف' أن تشكيل هياكل الجبهة الإدارية والسياسية منذ مؤتمر الصومام لغاية تشكيل الحكومة المؤقتة أضعفت سلطة الجبهة وصارت تناقش قضاياها على مستوى هذه الأجهزة في جو فوضوي بعيد عن العمل الجماعي والأسلوب الديمقراطي للتسيير والإدارة حيث قال : < إن الثورة -مهما كان نوعها- هي عبارة عن مجموعة أعمال محكمة ومضبوطة بسياسة قادرة على أن تفرض نفسها في الميدان وهذا ممكن بواسطة حزب يستلم قيادة الأمة للإشراف دوما على الكفاح المسلح. ولكن جبهة التحرير الوطني أثبتت عجزها عن هذا المقام واشتد عجزها بعد انسحاب لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الخارج وإنشاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فيما بعد. هذا الأمر ساعد على بروز سلطة قوية متمثلة في جيش التحرير الوطني والذي آلت إليه جميع الأمور المتعلقة بالجوانب السياسية والعسكرية والإقتصادية والإجتماعية وغيرها >.(22) ما نستنتجه من هذا التحليل أن جبهة التحرير الوطني لم يكن بإمكانها إتخاذ قرار أو موقف لحل الأزمة مادامت السلطة بعيدة عنها وهذا ما انعكس سلبا على محاولة تحويل الجبهة إلى حزب سياسي مهمته رسم السياسة العامة للبلاد ومراقبة وتوجيه الجهاز التنفيذي.

وإذا كان موقف الجبهة سلبيا وجامدا بالنظر إلى ضعفها وتهميشها فإن القاعدة النضالية والشعب وقفوا موقفا شجاعا ومشرفا من هذه الأزمة التي أدت بالبلاد إلى الإنزلاق نحو حرب أهلية . فبالرغم من إهمال الضعف السياسي للمناضلين والثوار ونقص إعلام الجماهير فإن هذه الأخيرة تصرفت بطريقة سليمة وأظهرت وعيا كبيرا ونضجا سياسيا معتبرا جعل الوحدة الوطنية ضرورة أساسية بحيث خرجت للشوارع حاملة لافتات كتب فوقها سبع 'سنين بركات'.(23)

(22) مصطفى الاشرف مرجع سابق الصفحة -384-

(23) محمد حربي مرجع سابق الصفحة -248/249-

المبحث الثالث

محاولة تحويل الجبهة إلى حزب سياسي

ظهرت ضرورة خلق نظام سياسي جديد في مؤتمر الصومام وقررت جبهة التحرير الوطني أن لاتتسامح مع أي منافس ولاأية مؤسسة مستقلة حتى ولو كانت دينية . فالحزب الواحد الذي قرره المؤتمر يعتبر رد فعل ضد الوجه الديمقراطي المزيف للتعددية الحزبية الإستعمارية شأنها في ذلك شأن الأحزاب التي تتعرض للقمع الشامل فتتجه لأن تتخذ سمة سرية وتآمرية.(24) فقبل معالجة محاولة تحويل الجبهة إلى حزب سياسي يعتمد على الأسس الإجتماعية المتمثلة في فئة الفلاحين والعمال والنساء والشباب والطلبة ثم النخب الوطنية الأخرى للحزب والمهام التي لصالح المجتمع أوضده لا بد من تعريف الحزب الواحد ودوره وخاصة في المجتمعات التي تعرضت لموجة الإستعمار الأجنبي .

على غرار الدول النامية التي تعرضت للإحتلال الغربي اتخذت سياسة الحزب الواحد بعد الإستقلال مباشرة . أن دارسي الأحزاب السياسية وأنماطها في مجتمعات دول العالم الثالث يعددون بشكل أساسي أنتشار ظاهرة الحزب الواحد بهذه البلدان . وقد برر قادة هذه البلدان نشأة الأحزاب الواحدة بها لكون هذه الدول الصاعدة لايمكنها أن تتحمل رفاهية إيجاد جماعات سياسية متنافسة وأن التحدي السياسي الرئيسي الذي يواجه هذه الدول إنما هو القضاء على البناء الإجتماعي الممزق وفرض الوحدة على المجتمع المنقسم .(25)

انتشرت الظاهرة الحزبية الأحادية في دول إفريقيا على الخصوص حيث أقامت الدول الإستعمارية دولا خالية من النزعة القومية متعددة اللغات ، متناحرة فيما بينها ، فقد عملت على التفرقة بين مختلف القبائل التي كان يجمع بينها الحكم الإستعماري . فبعد الحصول على الإستقلال لمعظم بلدان إفريقيا فضل قادتها الحزب الواحد كوسيلة لتحقيق نوع من الدمج السياسي على الأقل لأن التعدد الحزبي يعمق الفوارق السائدة في هذه المجتمعات الإفريقية أكثر. وعليه فإن ضرورة التوحيد على الصعيد السياسي كانت عاملا قويا في إنشاء الحزب الواحد بهذه البلدان. يضيف الدكتور'أسامة الغزالي حرب' < أن ضعف البناء الإجتماعي في الدول الإفريقية يعد عاملا عائقا لقيام التعدد الحزبي الناجح ويؤدي إلى التعدد الحزبي القائم على الإنقسام الطبقي أوالطائفي أوالديني والإرتباط أو الديني والإرتباط بالأشخاص على حساب الأهداف القومية العامة >. (26)

---

(24) الدكتور اسامة الغزالي حرب 'الاحزاب السياسية في العالم الثالث' سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب -الكويت 1987 الصفحة -129-

(25) لطفي الخولي 'عن الثورة في الثورة و بالثورة' حوار مع بومدين من منشورات المجتمع الجزائري البومديني الاسلامي غير مؤرخ الصفحة -38/39-

(26) الدكتور اسامة الغزالي حرب 'الاحزاب السياسية في العالم الثالث' سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب - الكويت- 1987 الصفحة -144 -

ثم أن من الأسباب المساعدة على إنتشار الحزب الواحد ببلدان إفريقيا كبلدان نامية هو أن التعددية الحزبية تشكل مدخلا لتسلل النفوذ الأجنبي عن طريق التأثير والسيطرة على الأحزاب المتنافسة سعيا إلى تحقيق أهداف القوى الأجنبية ويكون هذا التأثير عن طريق إغراء طائفة ضد أخرى بمنحها إمتيازات أو مساعدات لتدعيم مركزها السياسي والإجتماعي وتستخدمها كأداة للتدخل في شؤون الدولة الداخلية.

يجمع معظم الباحثين في موضوع الأحزاب السياسية أن هذه الأخيرة في دول العالم الثالث تكونت في الخارج عن طريق الهجرة ويرجعون نشأة الأحزاب الإفريقية خاصة في الخارج لإنعدام وجود برلمان متأصل فيها يمكن أن تظهر منه أحزاب داخلية تنمو تدريجيا ،لذا كان طبيعيا كما قال الدكتور "حرب" :< أن أغلب الأحزاب المتميزة في تلك المناطق كانت أحزابا ذات نشأة خارجية >.(27) هذا القول ينطبق على التيار الثوري الذي نشأ بالخارج نتيجة إحتكاك العمال الجزائريين بالتنظيمات النقابية والحركات بالمهجر ، وكانت بداية مع "نجم شمال إفريقيا". لكن جبهة التحرير الوطني لم تنشأ بالخارج وحتى في بداية تكونها لم تحدد هويتها على أنها حزب سياسي بالمفهوم العالمي للحزب.

المهم في هذه الدراسة ليست الأحزاب الواحدة في دول العالم الثالث وإنما أشرت إليها لأن حزب جبهة التحرير الوطني نشأ كحزب واحد بعد تحقيق الإستقلال في الجزائر وهي من دول العالم الثالث وعرفت نفس ظروف الإستعمار . وأنها تشكل كحزب جبهة التحرير الوطني أدوات لبناء الوحدة الوطنية ودعم التنمية الإقتصادية . إن الواقع يثبت أن من مهام الدولة في المجتمعات الحديثة القيام بمهمة التنمية الإقتصادية بينما في حالة الجزائر فإن مهام البناء الوطني أسندت للحزب الذي أوكلت له صلاحيات رسم السياسة العامة للبلاد والإشراف على الحكومة كجهاز تنفيذي وتوجيه المنظمات الجماهيرية . لقد كانت جبهة التحرير الوطني إطارا عاما اتحدت داخله ضد الإستعمار كل التشكيلات الوطنية السابقة .أما بعد الإستقلال فإنها لم تستطع أن تتحول إلى حزب طبقة واحدة ، فلم يكن بإمكانها أن تكون سوى رمزا لحقبة تاريخية تطلب فيها أولوية الحفاظ على الوحدة الوطنية . إن أهداف البناء الإشتراكي في الجزائر استدعى بناء ثوريا للحفاظ على استمرارية الثورة والقيام بمهام التنمية الإقتصادية والإجتماعية،لكن الأزمات التي عاشها الوطن بعد الإستقلال مباشرة أعطى الأولوية لبناء الدولة على حساب الحزب.

(27) الدكتور اسامة الغزالي حرب مرجع سابق الصفحة –145 –

وهذا ما أدى إلى تكون تصورين مختلفين للحزب. فكل من 'بومدين' و 'بن بلة' ينظران للحزب على أساس أنه معزولا عن الطبقات وهذا يعتبر تعارضا مع التصور الثاني الذي جاء في ميثاق الجزائر والذي يؤكد على دور حزب طليعي يخدم كموجه سياسي للحكومة ومعبئ للجماهير الشعبية ضد البرجوازية المعارضة للثورة . إذا كان التصورين المتكونين حول الحزب الواحد في الجزائر يعزلان وجود الطبقات بالجزائر فهل كان لجبهة التحرير الوطني دورا أساسيا في تشكيل الطبقات بالجزائر ؟ للإجابة على هذا التساؤل يجب تحليل البنية الإجتماعية لجبهة التحرير الوطني قبل وبعد الإستقلال.

أ- بنية جبهة التحرير الوطني قبل الإستقلال:

على غرار الأحزاب الواحدة التي نشأت في الإتحاد السوفياتي بفضل الثورة البولشفية وفي الصين الشعبية بفضل ثورة الفلاحين والتي كانت ثورية الهدف والوسيلة . فإن جبهة التحرير الوطني تريد الإستيلاء على الحكم في البلاد عن طريق تدمير النظام الإستعماري وجميع أدواته. وكانت في كفاحها المسلح تعتمدعلى تأييد الفلاحين وتسير أجهزتها إطارات مدنية جاءت من المدن نظرا لمستواها التعليمي المرتفع عن مستوى الفلاحين الذين لم يسعفهم الحظ حتى لتعلم القرآن في الزوايا في غالب الأحيان . إلا أننا لايمكن أن نقول أن جبهة التحرير الوطني عبارة عن إئتلاف مجموعة أحزاب اتحدت لأن شيئا من هذا القبيل لم يحدث ورأينا كيف تمت عملية الإنضمام لجبهة التحرير الوطني. كان الأشخاص يلتحقون بالجبهة بصورة فردية مجردين من إنتماءاتهم السابقة. كما لايمكن إعتبارها حزبا واحدا لأنها لم تنشأ لتكون حزبا إيديولوجيا خالصا من النمط الليبيرالي الغربي قائم على التعددية الحزبية ولا هي حزب طبقي بالمقاييس الماركسية ولاحتى حزب أرستقراطي ومحافظ من النمط الفاشي ، معناه لم تكن في يوم من الأيام عبارة عن حزب نخبوي يدافع عن مصالح نخبة معينة بل كانت تعبير كل الجزائريين مهما اختلفت إنتماءاتهم الإجتماعية ومعتقاداتهم الإيديولوجية هدفها واضح فجاءت وسيلة تحقيقه واضحة .

بعد الإستقلال حاولت السلطات تحويلها لحزب سياسي مفتوح أمام كل الجزائريين الذين يشتركون في النضال من أجل أهداف معينة قوامها المساواة والعدالة الإجتماعية أي تبني الأسلوب الإشتراكي للبناء الوطني . يسير وفق مبادئ المركزية الديمقراطية التي تقوم على العمل الجماعي وإحترام رأي الأغلبية وممارسة النقد والنقد الذاتي ويتمتع القادة مهما كانت مكانتهم في الهرم التنظيمي بنفس الحقوق ويخضعون لنفس الواجبات .

هناك من اعتبر الجبهة حزب إتحاد يشمل كافة أعضاء التنظيمات المختلفة (إتحاد العمال -- النساء - الشباب - الجيش و الفلاحين وغيرها حتى البرجوازية) . وهذه الخاصية تشترك فيها كل الأحزاب الواحدة والشمولية كالحزب الشيوعي السوفياتي الذي يعلن أنه <التعبير عن مصالح الأمة كافة >. بينما الحزب الشيوعي الصيني يعلن أنه < ممثل مصالح الشعب> . غير أن ما يمكن قوله عن جبهة التحرير الوطني أنها نشأت لتتجاوز البنية البيروقراطية الإستعمارية .

ب - بنية جبهة التحرير الوطني بعد الإستقلال :

بعد إعلان الإستقلال تعرضت جبهة التحرير الوطني لتغيير على مستوى البنية والوظيفة أو الدور الموكل إليها . ناقش الإجتماع الذي عقده المجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس خلال صيف 1962 وبالتحديد يوم 27جوان 1962، مسألة تحويل الجبهة إلى حزب سياسي. شارك في هذا الإجتماع الوزراء الذين كانوا معتقلين بفرنسا واحتد الخلاف بين أعضائه الذين انقسموا إلىكتلتين متنافرتين (28) ولم يستطع الإجتماع أن يصل إلى نتيجة رغم كل المحاولات التي بذلت. ولكن تمت الموافقة والمصادقة على مشروع ميثاق أعد من قبل بالحمامات في تونس. حدد فيه منهاج وإتجاه الجزائر بعدالإستقلال. دعي 'بميثاق طرابلس' . دخلت الجزائر منذ ذلك الوقت في أزمة سياسية داخلية حادة امتدت إلى ما بعد الإستقلال ولم يوضع لها حد إلا بعد قيام أحداث 19جوان 1965 . لقد انتقد ميثاق طرابلس جبهة التحرير الوطني محللا بعض النقائص منها: (29)

1- أن الجبهة لم تقدر الإمكانيات الثورية المتأصلة في جماهير الريف. فهذه الجماهير تكونت وتسيست من خلال هذه الحرب الطويلة . فالجبهة لم تكن تدرك مدى تأثير هذه التغييرات التي حدثت في الريف الجزائري بفضل هذه الحرب التحريرية .

2- أن الجبهة سمحت بحدوث فجوة بين الوعي الجماعي الذي كان قد نضج منذ وقت طويل عن طريق إحتكاكه بالوقائع من جهة وبين ممارسة الجبهة للسلطة على جميع المستويات من ناحية أخرى . أي أن الجبهة لم تكن تهتم بمشاركة هؤلاء الفلاحين والعمال البسطاء الذين تكونوا من خلال نضالهم الطويل في السلطة.

3- أن الجبهة لم تكن قادرة على منع إساءة إستخدام السلطة . الأمر الذي أدى إلى < تحول إقطاعي في التفكير > ونزعة شكلية نتيجة لذلك.

---

(28) الدكتور يحي بوعزيز مرجع سابق الصفحة -366 -

(29) النصوص الاساسية "لحزب جبهة التحرير الوطني" 1962/1954 'برنامج طرابلس' قسم الاعلام و الثقافة الصفحة -66-

وقد فسر البرنامج إقطاعية التفكير، فالإقطاعية لاتقتصر على حيازة ملكية أراضي فقط < ليست الروح الإقطاعية أمرا يتعلق فقط بطبقة إجتماعية معينة ذات سيطرة تقليدية تستمدها من ملكية الإراضي وإستغلال الغير وكما وجدت إقطاعية زراعية يمكن وجود إقطاعية زراعية يمكن وجود إقطاعيات سياسية ومجموعات فوضوية من القادة بسبب إنعدام التربية الديمقراطية في صفوف المناضلين السياسيين وبين المواطنين على العموم >.(30)

4- أن الجبهة بافتقارها إلى الحزم الإيديولوجي أتاحت ظروفا مناسبة لأزدهار 'روح برجوازية صغيرة' -خاصة بين الإطارات والشباب- كما أوضح برنامج طرابلس أنه لم يكن في الممارسة تمييز بين جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة < لقد أدى مزج مؤسسات الدولة ومؤسسات الجبهة إلى تحويل هذه الأخيرة إلى مجرد جهاز حكومي للإدارة >.(31)

أسفر هذا التداخل في المهام داخل الجزائر إلى تجريد جبهة التحرير الوطني من مسؤولياتها لصالح جيش التحرير الوطني وهذا معناه أن الحزب لم يكن له وجود عشية الإستقلال إلا بالإسم .

أنتصر'بن بلة' وجماعته على خصومه بتأييد من الجيش وقامت أول حكومة وطنية بعد إنتخاب أعضاء مجلسها التشريعي وتولى فيها 'بومدين' وزارة الدفاع . وكلف كل من 'محمد خيضر' ورابح بيطاط بتحويل جبهة التحرير الوطني إلى حزب طليعي ثوري .(32)

إذا كان الرأي السابق يؤكد على أن الحكومة الوطنية المستقلة ركزت نشاطاتها السياسية على عملية تحويل الجبهة إلى حزب سياسي فإن 'مغنية الأزرق' تناقض هذا الرأي وتقول أنه بعد الإستقلال تركزت أول مناقشة سياسية على وضع دستورأكثر مما تركزت على تنظيم الحزب حوخلال المناقشة التي تمت في أوت 1963 أشير إلى أنه قبل الإنتخاب على الدستور ينبغي عقد مؤتمر لصياغة عقيدة وبرنامج والبحث عن نخب جديدة تتولى المسؤوليات في الإدارات الشامل للوضع >. (33) خاصة وأن السلطة المدعمة من قبل الجيش تهدد بأن تصبح متعسفة وتعود لفكرة الحكم الشخصي الذي هدم التيار الثوري وجعل الحركة الوطنية تعيش أزمات حادة استمرت اثارها السيئة إلى حد الآن . خاصة و أن الحزب كان ضعيفا ينقصه التنظيم وجمعية تأسيسية وطنية قزم دورها وهذا ما جعل ' محمد بوضياف' ينسحب من عضوية هذه الجمعية (المجلس التشريعي) . ولم يكن مؤهلا لعقد مؤتمر تتم فيه المصادقة على مشروع الدستور وإقراره.

(30) برنامج طرابلس
(31) مغنية الازرق مرجع سابق الصفحة -161-
(32) لطفي الخولي مرجع سابق الصفحة -38-
(33) مغنية الازرق مرجع سابق الصفحة -163/162-

يعود عجز الحزب عن القيام بدوره بعد الإستقلال إلى تصورين متنافسين لبنية الحزب ، تزعم التصور الأول كل من 'محمد خيضر' و'رابح بيطاط' – فالأول كان الأمين العام للمكتب السياسي والثاني أحد اطارات الحزب وعضو المكتب السياسي أيضا – فهذين المسؤولين دعيا إلى تكوين حزب جماهيري حفاظا على الوحدة الوطنية. والإتجاه الثاني أو التصور الثاني تزعمه 'أحمد بن بلة' الذي أيد تشكيل حزب طليعي. لأن الحكومة الوطنية برئاسة 'أحمد بن بلة' بدأت في تطبيق برنامج طرابلس حيث شرعت في مارس 1963 في تأميم أراضي الإقطاعيين الفرنسيين (الأملاك الشاغرة) وحتى الجزائريين ووضعت قيودا تحد من نمو البرجوازية حتى لا تحل مكان البرجوازيةالفرنسية المغادرة . ارتبط هذا الإتجاه بالأسلوب الإشتراكي الذي أراد من خلاله الرئيس 'أحمد بن بلة' الشروع في إعادة بناء جبهة التحريرعلى أساس حزب ثوري يضم العناصر الطليعية وتحديد العلاقات بين الحزب كتنظيم سياسي طليعي للتوجيه والقيادة بين الحكومة كجهاز اداري يستقل بسلطات التنفيذ الادارية في حدود مسؤوليته امام المجلس الوطني و الحزب. جاءت معارضة 'محمد خيضر' لهذا النظام من اتهام الحكومة بالسير في اتجاه الحادي و التفرد باتخاذ اجراءات لا يوافق عليها الحزب و غلق الابواب امام العناصر التقدمية و ترقية العناصر المحافظة . (34) لذلك نادى 'محمد خيضر' باقامة اشتراكية اسلامية بدلا من اشتراكية 'بن بلة' المستوردة و طالب الحكومة بتطهير البلاد من العناصر الاشتراكية الملحدة كماهاجم سياسة التعاون مع فرنسا . و لما فشل في معارضته للحكم القائم اعتزل منصبه كأمين عام للمكتب السياسي و كمسؤول عن تنظيم حزب جبهة التحرير الوطني.وخلاصة القول أن هذه الطبيعة غير المحددة و الواضحة لبنية الحزب أعاقت كثيرا سيره الحسن. لم يكن 'خيضر' هو المعارض الوحيد لنظام 'بن بلة' بل عارضه بعض اليساريين الجزائريين المتأثرين بالحزب الاشتراكي الفرنسي و في مقدمتهم 'محمد بوضياف' و حزبه الاشتراكي الثوري السري بتنظيم عدة أعمال عدوانية – كما برزت كتلة أخرى معارضة هي < قوة اليمين التقليدي> بقيادة ' فرحات عباس' و ' أحمد فرنسيس' و كانوا يمثلون مصالح العناصر البرجوازية الجزائرية التي تطمح الى النمو من خلال سياسة التعاون مع فرنسا . و وقفت ضد اجراءات الحكومة على اساس أنها تؤدي بالبلاد الى الكارثة . فالمجموعة الاولى اتخذت من قضية الدستور الجزائري أساسا لمعارضتها انطلاقا من أن الدستور كرس نظام ديكتاتورية الحزب الواحد وأعلن ' فرحات عباس' استقالته من رئاسة المجلس الوطني أما ' أحمد فرنسيس ' فقد أستغل وضعه المالي كوزير للمالية بالاعلان ان الاجراءات الإشتراكية قد أضرت بالاقتصاد الوطني و غادر الى سويسرا.(35)

(34) لطفي الخولي مرجع سابق الصفحة –41–

(35) لطفي الخولي نفس المرجع الصفحة –42–

المبحث الرابع
مؤتمر عام 1964 و انعكاساته على تطور الجبهة

انعقد هذا المؤتمر في ظروف تميزت بالتكالب على السلطة ومحاولة زعزعة الثقة المتبادلة بين 'أحمد بن بلة ' كرئيس للدولة و العقيد 'هواري بومدين' وزير الدفاع . لكن هذه المحاولات لزرع الشكوك بين الشخصيتين لم تصل الى مبتغاها و انعقد هذا المؤتمر لان كل من 'بن بلة' كان يتمتع بشعبية واسعة و كان 'بومدين' يحظى بالاحترام و ثقة الاطارات المدنية و العسكرية الوطنيـة و أكثر من ذلك الظروف السيئة للجزائر التي حتمت بينهما التحالف . فقد سبقت انعقاد المؤتمر تهديدات من الخارج من طرف المغرب و هجومه على الجزائر خلال أكتوبر 1963 الى جانب التهديدات الداخليـة خاصة من طرف قادة منطقة القبائل خلال نوفمبر 1963.

و النداء المعادي للاشتراكية كمعاداة قرار التأميم - لم تعق هذه العقبات المؤتمر بل انعقد في تاريخه المحدد بتاريخ 14 أفريل 1964 و انتخب 'أحمد بن بلة' أمينا عاما للمكتب السياسي بترشيح من بومدين كما أنتخبت لجنة مركزية من ستين عضوا(60) و مكتبا سياسيا من خمسة عشر عضوا(15) وأقرت وثيقة ايديولوجية جديدة حملت اسم ميثاق الجزائر.(36)

ان المتمعن في النصوص الاساسية المنبثقة عن المؤتمر الاول لحزب جبهـة التحرير الوطني يلاحظ التناقض الواضح بين الطبيعة الجماهيرية التي نادي بتجنبها و مبدأ الحفاظ على الوحدة الوطنية.فاذا كان حزب جبهة التحرير الوطني ينادي بالتعبير عن مصالح فئات معينة فهو سيثنى بذلك فئات أخرى. و هذا بطبيعة الحال و من هذا المنطق لا يخدم الاتحاد الوطني الذي يستلزم توحيد كل الفئات الوطنيـة و ايجاد التوازن بين الإتجاهات المتباينة حتى تبدو منسجمة. فالمادة الثانية من ملحق ميثاق الجزائر تنص على:< ينبغي على جبهة التحرير الوطني الا تكون حزبا جماهيريـا >. (37) أي تجنب بناء جهازيكون المعبر عن مطامح الجماهير في البداية ثم ينطلق ليعيش حياة مستقلة . فالحزب الثوري سيكون حزبا تسير فيه الاغلبية فعليا بدلا من أن تقتصرعلىتعيين القادة وفيه تحدد مواقفها من مشاكلها. فجبهة التحرير الوطني ليست 'حزب جمـــــاهير' لأن الصيغة الجماهيرية تشكل خطر تمييع المسؤوليات والسدبابها بين ايدي البرجوازية الصغيرة ضد الفئات الأخرى ولاحزبا نخبويا يمثل مصالح الفئة المثقفة.

---

(36) لطفي الخولي مرجع سابق الصفحة -60-

(37) ميثاق الجزائر 64 (الجزائر جبهة التحرير الوطني 1964)

وبعض المحترفين السياسيين الذين ينعزلون عن الشعب بل يجب أن يكون حزبا طليعيا يستمد قوته من مجموع الفلاحين والعمال والشباب والمثقفين الثوريين المؤمنين بالفكر الإشتراكي وبناء الإشتراكية . إن الطبيعة الطليعية لحزب جبهة التحرير الوطني تعكس وجود طبقات في الجزائر تقف ضد مصالح الفئات التي يمثلها الحزب – حتى ولو لم يصرح به رسميا- فالعدد المحدود للفئات الإجتماعية التي يستمد الحزب منها قوته يتناقض مع الحفاظ على الوحدة الوطنية التي تستوجب إنضمام كل الفئات الإجتماعية والإيديولوجية وأساليب عملها سواء الفئة البرجوازية أو البرجوازية الصغيرة التي حذر الميثاق السلطة من خطر الإنزلاق نحوها إذا ما اتخذ الحزب الطابع الجماهيري . حدد مؤتمر عام 1964 التركيبة الهيكلية للحزب كالآتي – الخلية : تضم من عشرين (20) إلى خمسين (50) عضوا على مستوى الناحية أو القرية – القسمة أو مجلس الحزب على المستوى البلدي – الإتحادية وهي مجلس على مستوى المنطقة . ولكل مستوى لجنة وتنظيم قادة الخلايا في مجالس القسمة. وقادة القسمة ينظمون في مجالس الإتحاديات .وتقوم الخلايا بمهمة نشر قرارات الحزب وشرحها وتدريب الأعضاء والعمال وتعبئة الجماهير لتنفيذ أهداف الثورة الإشتراكية . ويعد المؤتمر أعلى هيئة في حزب جبهة التحرير الوطني وتكون اللجنة المركزية أعلى هيئة بين مؤتمرين مهمتها تنفيذ القرارات التي يصدرها المؤتمر وتقوم بالمراقبة المالية كما تقوم بإنشاء البنى الجديدة للحزب وتعيين بناء على توصيات المكتب السياسي أعضاء الحكومة والبرلمان ومناصب الدولة العليا . أما المكتب السياسي فإنه يقوم بتنفيذ القرارات التي تصدرها اللجنة المركزية وهو مسؤول أمامها يوجه نشاطه وينسقه ويراقبه ويقوم المكتب السياسي أيضا بتسيير الجيش. على الرغم من البنية المحكمة لحزب جبهة التحرير الوطني إلا أنه لم يقم بمهامه الموكلة إليه حسب المواثيق الرسمية وما يدل على ذلك ما حدث من تظاهرات وإضرابات عمالية عام 1964 .(38) إلى جانب الإختلال الوظيفي المتزايد في نظام التسيير الذاتي . يرجع بعض الباحثين فشل الحزب في أداء مسؤولياته إلى البنية غير المتجانسة للجنة المركزية.(39) التي كانت تضم زعماء معارضة وأشخاص غير معروفين نسبيا من قبل التنظيمات الوطنية المختلفة . وقد فسر هذا بأنه رغبة في إحباط نفوذ الجيش عن طريق إعادة ضم عناصر معادية لقيادة جبهة التحرير الوطني .

إذا كان حزب جبهة التحرير الوطني يحظى بأهمية كبرى من الناحية التنظيمية أي الهيكلية في تلك الفترة . فما هو الدور الذي لعبه في حل الأزمة الوطنية ؟.

---

(38) مغنية الازرق مرجع سابق الصفحة -165-

(39) مغنية الازرق نفس المرجع و نفس الصفحة

ظهرت معارضة للحكم عام 1964 في منطقة القبائل وفي الناحيــة الجنوبيــة والناحيـة الغربيـة للبـلاد ونتج عن ذلك طرد خمسة أعضاء من اللجنة المركزية وشكلت ميليشيات شـعبية. اسـتطاع الجيش بقيـادة العقيد 'بومدين' القضاء على المتمردين ولكن الحزب لم يتدخل بأي شكل فعال لحل الأزمة . فقد كان عاجزا عن الحفاظ على إستقرار الحكم ، فعلى سبيل المثال غير المحتشدون أكثر من مائتي (200) مرة بالإضافة إلى التظاهرات التي وقعت مابين ماي 1963 وفيفري 1964 بمشاركة مجاهدين قدامـى وأرامـل الشهداء وأشخاص بطالين . والأهم من ذلك أن الحزب نظم تظاهرة مضادة وظهر كقـوة منافسـة للجمـاهير بدلا من تنظيمها وتهدئتها . (40)

تعد المرحلة الفاصلة مابين أحداث 19 جـوان 1965 والمصادقة الشـعبية علـى الميثـاق الوطنـي عـام 1976 من أحرج المراحل التي مر بها حزب جبهة التحريـر الوطنـي منـذ اسـترجاع السـيادة الوطنيـة عـام 1962 وبالتحديد فإن الحزب لم يعقد أي مؤتمر بعد عام 1964 بمثابة توقيع شهادة وفاته في المهد ، لأن حتى في هذه الفترة كانت السـلطة التنفيذيـة بيد رئيس الحكومـة وهـي المسـيطرة وكـان يسـتخدم الحـزب لأغراض وممارسات شخصية وهذا ماعبر عنه الدكتور ' محمـــــــــد الزبيري' الذي يرى أن الممارسة الديمقراطيـة للسلطة مـن طـرف حـزب جبهـة التحريـر الوطنـي يتـأرجح بيـن النظريـة والواقـع . فـالمحلل للنصوص الرسمية في مواثيق الثورة سواء تلك المحررة فـي العهـد الإسـتعماري أوتلـك المعدة فـي عهـد الإستقلال تؤكد أن الجزائر دولة ديمقراطية شـعبية تعمـل مـن أجـل بنـاء الإشـتراكية بغيـة تحقيـق العدالـة الإجتماعية والتوازن بين كل مناطقها وإشراك الجميع في صنع القرار عن طريق الحزب الواحد الذي يضـم كل الشرائـح الإجتماعية وأن التنمية الوطنية القائمة على الأسلوب الإشتراكي يقودها حزب جبهـة التحريـر الوطني ، لكن المتفحص للواقع والحقائق المشهودة وخاصة الممارسات اليومية للسلطة فـي البـلاد يلاحظ الهوة الفاصلة بين النصوص وماهو معمول به على أرض الواقع فكما يقول الدكتور 'الزبيري' :< الجزائر كيان غامض يتأرجح بين الرأسمالية والإقطاع وأن نظـام الحكم فيهـا لايختلـف كثيرا عمـا هـو سـائد فـي الأنظمة الملكية القائمة في البلدان المختلفة وأن حزب جبهة التحرير الوطني لايحكم ولايقود ولكنـه مجـرد غطاء تتستر به جماعات معينة لإضفاء طابع الشرعية على ممارستها>.(41)

(40) مغنية الازرق مرجع سابق الصفحة -165-

(41) الدكتور محمد العربي الزبيري، 'المؤامرة الكبرى او اجهاض ثورة' المؤسسة الجزائرية للطباعة - الجزائر 1989 الصفحة -49-

خلال الفترة الفاصلة بين المؤتمرين (مؤتمر 1964 والمؤتمر الرابع عام 1979) كانت البلاد تعيش حالة فوضى .فقد اسقطت خلال هذه الفترة عملية تطهير الحزب من الإنتهازيين وسيطرعلى المناصب الأساسية عناصر متشبعة بإيديولوجيات مختلفة مما جعل عملية تطور الحزب تتوقف لأن أولوية بناء الدولة وإستكمال بناء هياكله فرضت تجميد الحزب وتهميشه. ولهذا فقد حول نظام 19 جوان 1965 صلاحيات المكتب السياسي واللجنة المركزية إلى مجلس الثورة المكون من ستة وعشرين (26) عضوا والذي بدأ عدده يتضاءل خاصة بعد انسحاب 'بشير بومعزة' و'علي محساس' وصار عدده ثمانية أعضاء (08) خلال عشر سنوات (10).(42)

لم يكن أعضاء مجلس الثورة يؤمنون بالحزب وفعاليته في تجنيد الجماهير وتعبئتها حول الحفاظ على مكاسب الثورة .فقد ضيق 'أحمد مدغري' عضو مجلس الثورة ووزير الداخلية آنذاك على القواعد الحزبية لفائدة المصالح الإدارية معلنا عدائه للحزب ومحتقرا تركيبته البشرية ، وكان يتخذ من كراهية النضال الحزبي مقياسا لترقية الإطارات الإدارية .(43)

هذه الممارسات التعسفية للسلطة من طرف مجلس الثورة عرقلت تطور الحزب وجمدت عملية تطهيره وجلبت له مقت الأجيال التي جاءت من بعد . ركز مجلس الثورة على هيكلة الإدارة وبناء الإقتصاد وهذا ما همش الحزب ومنظماته الجماهيرية .

أصبح الحزب خلال تلك المرحلة مهمشا وصار دوره السياسي غير واضح فلا هو في الحكم ولاهو في المعارضة والذي كان ينوب عنه في الحكم هو مجلس الثورة الذي غدى السلطة العليا في البلاد . فجل خطابات الرئيس 'بومدين ' كانت تفتتح باسم هذا المجلس الذي أعطى الأسبقية لإعادة الإعتبار لبناء مؤسسات الدولة وتدعيم الإستقرار السياسي < لابد وأن تبنى دولة قوية منظمة وجديدة ذات هياكل عصرية تستطيع أداء وظائفها بفعالية >.(44) فتم وضع قانون الوظيف العمومي عام 1966 وتسخير كل الإمكانيات المتوفرة لتجهيز الدولة بوسائل العمل وتأميم ثروات البلاد وتشييد المصانع والمركبات، إلى جانب تنظيم الإدارة المحلية عن طريق سن القانون البلدي وتأسيس المجالس الشعبية الولائية وإعادة تنظيم الولايات على أساس اللامركزيةفي التسيير ، الشروع في تطبيق سياسة تنمية ووضع مخططات إبتداء من عام 1966.

---

(42) الدكتور محمد العربي الزبيري مرجع سابق الصفحة -50-
(43) نفس المرجع الصفحة -51-
(44) عامر رخيلة 'التطور السياسي و التنظيمي لحزب جبهة التحرير الوطني' رسالة ماجيستر مقدمة لمعهد العلوم السياسية جامعة الجزائر الصفحة -162-

على الرغم من أن السلطة الجديدة التي جاء بها إنقلاب 19 جوان 1965 صرحت أن الحزب هو قائد الثورة وأساسها فإنها لم تهتم بإعادة تنظيم الحزب وإعطاءه السلطة المطلقة في رسم سياسة البلاد كشأن الأحزاب الحاكمة . فهذه الإشادة بالدور القيادي للحزب لم تتجاوز الخطب السياسية إلى الميدان العملي . وحتى عام 1968 الذي اعتبر عام الحزب فإن محاولة إعادة الحزب لم تتم لأن القيادة لم تكن تنوي فعلا تنظيم الحزب بل كانت تلجأ لهذا الأسلوب لتفادي الصراعات التي كانت قائمة ما بين أعضاء المجلس الوطني للثورة والمعارضة السرية التي كانت تطالب بالتعدد الحزبي وممارسة حقها في الحكم والسلطة . لكن رغم هذا التهميش المقصود فإن الحزب حافظ على وجوده وصمد . كان في تلك الفترة يفتقر لمقومات الحزب السياسي، لم تكن له قوانين داخلية ولاخاصة تنظمه ولم تكن له هياكل واضحة ومستقرة . فقد كان رئيس مجلس الثورة هوالذي يقوم بتعيين المسؤولين على رأس الحزب وكانت صلاحياتهم إدارية وكانوا لايتصرفون في الكثير من مسائل التنظيم دون العودة إلى استشارة مجلس الثورة الذي له حق تعيينهم وفصلهم .(45)

فقد كان الحزب خلال هذه المرحلة نقطة الصراع بين أنصار الممارسة الديمقراطية التي تتم بالعودة للحزب والقاعدة الشعبية وبين أنصار تجميد النشاط الحزبي الذين لايؤمنون بضرورة وجوده . رغم أن نظام 19جوان حث على وجوده :< إن عام 1968 سيكون عام الحزب الذي يشهد نوعا من التصفية ، معنى ذلك أن كل من يتفق مع خطتنا سيظل إلى جانبنا لنسير نحو تحقيق الأهداف المنشودة أما الذين لايرغبون في العمل طبقا للخطة المرسومة فما عليهم إلا بالتخلي عن الحزب لأن وضعية التلاعب والديماغوجية قد ولت لغير رجعة ولأننا قررنا أن تكون هياكل الحزب مبنية على أساس القاعدة التي هي الشعب >.(46)

إلا أن الذين كان لهم نفوذا قويا في السلطة استطاعوا أن يجعلوا من الحزب تابعا لامتبوعا . وقد عبر عن ذلك السيد "محمد الشريف مساعدية" مسؤول الأمانة الدائمة للحزب سابقا بقوله : < لقد عشنا قبل مرحلة إتمام المؤسسات ظروفا خاصة فرضتها مقتضيات المرحلة ومانتج عنها من ممارسات غير ديمقراطية >. (47)

---

(45) عامر رخيلة مرجع سابق الصفحة -162-

(46) هواري بومدين "خطبه من 19 جوان 1965 - جوان 1970" الجزء الثاني الصفحة -135-

(47) من كلمة مساعدية في الملتقى الوطني لاعضاء مكاتب المحافظات المكلفين بالتنظيم و المنظمات الجماهيرية يوم 1981/01/17 بالغرفة التجارية للحزب.

فقد عرف الحزب بعد 19جوان 1965 وضعا متناقضا من جهة القيادة كانت تصرح -انذاك- بالدور القيادي للمجتمع وبين الوضع الحقيقي للحزب الذي صار مهمشا كليا ومبعدا عن الساحة السياسية وبالتالي إبعاده عن المشاركة في تنظيم الأمور الإقتصادية والإجتماعية والثقافية . كشفت أحداث 19جوان عن غياب فعلي للحزب عن الساحة السياسية فلم يكن بإمكانه إتخاذ موقف واضح وصريح من هذا الصراع حول السلطة . وجاءت ردود الفعل من طرف الطلبة والتي سرعان ما اخمدت و حتى الميلشيا الشعبية التي نظمها 'احمد بن بلة' فشلت و انضم رئيسها 'نبومدين' . و الجهاز الوحيد الذي ظهر مؤهلا للسيطرة على الوضع كان جيش التحرير الوطني اي القوة العسكرية بالنظر لتاريخها. لم تعط قيادة نظام 19 جوان 1965 للحزب دوره الذي حدده له مؤتمر حزب جبهة التحرير الوطني عام 1964 بل ألغى هذا النظام المؤسسات* و القيادات المركزية المنبثقة عن المؤتمر. فقد قضى على التوازن القائم في السلطة داخل حزب جبهة التحرير الوطني بين القادة المدنيين والقادة العسكريين في مختلف القيادات من جهة وتعايش مختلف الإتجاهات من ماركسيين ووطنيين وبربر وقدامى الطلبة وعناصر الجيش . فهذا الإنقلاب يعد بمثابة الحاسم للصراع القائم داخل حزب جبهة التحرير الوطني منذ صيف 1962.

يستند الأستاذ 'عامر رخيلة ' في أطروحته حول التطور السياسي لجبهة التحرير الوطني-في تحليل موقف الحزب من الصراعات السياسية بعد انقلاب 19جوان 1965 -على الدور الذي أوكل للأمانة التنفيذية للحزب. فقد أعلن رئيس مجلس الثورة يوم 20 جويلية 1965 على تنصيب أمانة تنفيذية للحزب تتكون من خمسة أعضاء من مجلس الثورة هم :'الشريف بلقاسم' - 'محمد ولد الحاج' - 'الخطيب يوسف'-'بوبندير الصالح' و'طيبي محمد'. وقد جاء في بيان مجلس الثورة بمناسبة تنصيب هذه الأمانة التنفيذية مايلي :< إن مجلس الثورة هو أعلى هيئة للأمة وإنه شاعر كل الشعور بأهمية الدور المنوط بالحزب وأهمية الأعمال المسندة إليه ولذا فقد قرر أن يجعل على رأس الحزب هيئة تنفيذية تتألف من خمسة أعضاء عملا بمبدأ القيادة الجماعية . وكل هؤلاء الإخوان أعضاء في مجلس الثورة ومسؤولين أمامه >.(48)

(48) عامر رخيلة مرجع سابق الصفحة -162-

هذا البيان يدل على أن السلطة كلها بيد مجلس الثورة الذي يعد الهيئة العليا والحزب ماهو سوى هيكل تنظيمي ينفذ السياسة التي يحددها مجلس الثورة ويسهر على متابعتها .أدى انقلاب 19جوان 1965 إلى تفكيك اللجنة المركزية التي حلت محلها أمانة تنفيذية من خمسة أعضاء، أما الأمين العام السابق فقد حل محله منسق . وفي سبتمبر 1967 أصدر مجلس الثورة بيانا يشير فيه إلى أن الحزب سيعاد تنظيمه على أساس جديد . وفي 05 فيفري 1968 أعلن الرئيس 'بومديـــن' أن للحزب أولوية على كثير من المسائل التي قررت الحكومة معالجتها عام 1968 ورفع شعار العودة إلى القاعدة الحزبية .

تغيرت شروط عضوية الحزب < إن الباب مفتوح لكل أولئك الذيـــن يقبلون سياستنا والذين هم مستعدون للعمل في سبيل تطبيقها وباستطاعة اخرين أن يتركوا الحزب وان يسعوا إلى أي عمل من اختيارهم ، فالحزب أصبح مركز إشاعات وإهانات نتيجة النقد المغرض للإطارات ، فالحزب سار متساهلا نحو النقد ، بينما في البداية كان يسمح بالنقد البناء الموضـوعي فقط >.(49) خاصة < وأن الإطارات العليا تفضل وظائفها الإدارية على النضال السياسي داخل الحزب ، فالنخبة المثقفة غير معنية بالحزب وتميل لأن تقنع بالعمل الذي تؤديه في إطار وظائفها . فهي لم تعد تؤمن بالتدرج الهرمي في المناصب العليا عن طريق عضوية الحزب ، فهذه النخبة ترغب تحقيق إمتيازات أخرى بعيدا عن النضال الحزبي >. (50)

هذه النخبة لم تلزم الصمت بل ردت على هذه الإتهامات عن طريق مقابلة جريدة المجاهد لعدد من الإطارات تتمثل على الخصوص ، في رؤساء مجالس إدارة مؤسسات الدولة وقدمت هذه الإطارات أسباب عدم مشاركتها في النضال الحزبي كالآتي : (51)

1- إفتقار الحزب لعقيدة معناه الفقر الإيديولوجي للحزب ، لم تكن له رؤى فلسفية واضحة تحدد على أساسها الأهداف العامة للبلاد وتكون لها القدرة على الإشراف الكامل على تنفيذها ومراقبتها .
2- أن الحزب أعيد تنظيمه بواسطة الأشخاص المتطلعين للسلطة وخدمة مصالحهم .
3- أن المسائل التي تناقش داخل الحزب تافهة .
4- العزوف عن الخضوع للتوجيه العقائدي بواسطة الحزب .

(49) مغنية الازرق "نشوء الطبقات في الجزائر" مرجع سابق الصفحة -166-
(50) نفس المرجع الصفحة -167- حوار صحيفة المجاهد بتاريخ 68/11/26 مع بومدين
(51) نفس المرجع الصفحة -168-
(52) نفس المرجع ونفس الصفحة

إن الملاحظ لهذه الحجج يلاحظ التناقض في تبريراتهم من ناحية ينفون وجود توجيه عقائدي . وهذا يعني أن الذين يعزفون عن النضال السياسي داخل الحزب لم يجدوا مبتغاهم في الإرتقاء الوظيفي من خلال الحزب فبحثوا عنه في أجهزة أخرى وقد وجدوها في أجهزة الدولة التي أعطت الأولوية لاستكمال بناء هياكلها على حساب تنظيم الحزب . وهذا ماعبر عنه رئيس مجلس إدارة مؤسسة الصلب الوطنية . (52) ما فائدة بطاقة العضوية لمدير ؟ هل تصلح للمشاركة على مستوى القاعدة في مشاكل هي بنسبة 99٪ مشاكل معلومات وأحيانا مشاكل تتعلق بالناحية ، لقد كنت مناضلا لمدة سنة واحدة وهذا كل ما تعلمته.

هذا الأمر يدل على أن الإطارات في تلك الفترة كانوا يتبعون إتجاه الدولة القائم على تدعيم هياكل الدولة وأصبحت الدولة هي الأهم لديهم ولاداعي للإنخراط في حزب جامد، هيكل شكلي. يعود الإهتمام ببناء الدولة على حساب تنظيم الحزب وتحديد دوره في التنمية الوطنية إلى كون الدولة الجزائرية نشأت ضعيفة ويؤكد ذلك 'سليمان بدراني' الذي يرى أن الدولة الجزائرية تتميز بخاصيتين أساسيتين هما (53): الضعف والصنع **la démurgité** فالدولة القوية هي الدولة القادرة على جعل القرارات تطبق بصورة صحيحة في جميع مناطق الوطن وكذلك القوانين والقواعد التي تسنها السلطة الحاكمة وعليه فإننا نحكم على أن الجزائر دولة ضعيفة . فهي منذ 1962 تنتج الأوامر والقوانين بشكل غزير في جميع الميادين الإقتصادية الإجتماعية والسياسية ولم تطبق بشكل صحيح . فعلى سبيل المثال نصوص الثورة الزراعية طبقت بصور مختلفة تبعا للمناطق وعلاقات القوة المحلية . ويضيف بأن الدولة القوية هي التي تتبنى سياسات متجانسة وتنفذها بصورة محددة وصارمة إلى نهاية أجلها . يمكننا أن نقول أن الدولة الجزائرية على المستوى الداخلي كانت نسبيا -ضعيفة- بحيث كانت كلما مارست جماعات ضغوطا ضدها للمطالبة بالمزيد من الإمتيازات المادية أولإتخاذ بعض الإجراءات فإنها تضحي بأنسجام هذه السياسات لتفادي هذه الخلافات سواء الفعلية أو المفتعلة . (54) ولهذا فإن الدولة الجزائرية ضحت بمسألة تنظيم حزب جبهة التحرير الوطني للحفاظ على استقرارها والذي لم يدم طويلا بحيث تفاعلت آثار الأزمات الوطنية وانفجرت مع نهاية عام 1988 ومازالت تهدد أمن وإستقرار الدولة والشعب لحد الآن . وما جعل إعادة تنظيم الحزب تعطل وتجمد هي الطبيعة الإجتماعية للجماعة الحاكمة بعد 1962 والتي -حسب الأستاذ 'محفوظ بنون' من قدماء المحاربين من الأوراس - كانت هذه الجماعة من العلماء الذين أخذوا مراقبة وسائل الإعلام والتربية الوطنية وهم من الأسر المتعاونة مع الإستعمار ، والذين استثمروا جهاز الدولة بعد أن استحوذوا على مناصب هامة إستراتيجية في الجيش والإدارة والعدالة .

(53) Slimane BEDRANI 'L'Algerie de la légitimité Révolutionnaire à lalégitimité Démocratique' Reflexion sur l'Etat Mai 1990 Page -3-
(54) Slimane BEDRANI , Idem

ومن بعض العناصر المهمة في حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية و الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين . (55) فهؤلاء القادة هم من الإصلاحيين أي من أصل رغد ومن إيديولوجية مسلمة معتدلة.أما بالنسبة "لعلي الكنز" فإن النظام السياسي الجزائري تمركز حول نواة الجيش (56) التي استطاعت أن تفرض قوتها المنظمة على التشكيلات الأخرى وتستمد قوتها من قوة القائد غير المنازع "هواري بومدين" الذي يعتمد على التسلط الذي يحفظ التوازن الداخلي ضد الجماعات المنافسة . يتفق في ذلك مع الأستاذ "سليمان بدراني" غير أنه لم يذكر الأصل السياسي لهؤلاء القادة ولكنه يعتقد أن أصلهم السياسي يكمن في نواة حركة انتصار الحريات الديمقراطية "المنظمة السرية العسكرية" . وهذه الأخيرة هي التي تشرح تطور الدولة الجزائرية التي تفضل القوة على القانون والسلطة على الإجماع وبصفة ملموسة العسكري على السياسي . وهكذا انتصرت أولوية الداخل على الخارج وتغلبت أولوية العسكري على السياسي وهذا ما جعل الجزائر تعرف سلسلة من الأزمات الوطنية التي كانت في كل مرة تهدد بأنفجار حرب أهلية .

(55) Mahfoud BENNOUNE ' Les fondements Socio-historiquesde l'Algerie' 'L'Algerie et la Modernité' Opcit Page -78/79/80-

(56) Ali EL KENZ Opcit Page -7-

خاتـــــــمة البحث

ان ما يمكن استخلاصه من هذا البحث ، ان المحاولات الاولى لمواجهة الاحتلال الاجنبي و اشكال الرفض لتواجده بارضه تنوعت . غير أنها أخفقت في مواجهة الوضع الإستعماري . ويعود فشلها إلى أكثر من عامل ، غير أن انعدام الوحدة بين قادة هذه الإنتفاضات الشعبية المسلحة وعدم تنسيق أعمال المقاومين كانت العامل الأكثر أهمية وفعالية. فالأخذ بمبدأ التضامن وتوحيد الجهود لمواجهة موقف ما هو المحدد لنسبة نجاح أوفشل أي عمل ثوري . إلى جانب عامل أخر لايقل أهمية عن العامل الأساسي وهو محدودية هذه المقاومات في المكان والزمان إذ لم تكن مقاومات مستمرة في الزمان والمكان بل كانت انتفاضات محلية لاتتجاوز حدود العشيرة أو القبيلة التي تعترض مصالحها – خاصة العقارية – للنهب والإعتداء أوتمس شعائرها الدينية ولهذا يحكم عليها معظم الباحثين في تاريخ الجزائر مع الإحتلال الأجنبي أمثال 'عبد الرحمن بن ابراهيم العقون' و 'محفوظ قداش' و 'هواري عدي' الذين سبقت الإشارة إليهم ، أنها مقاومات ضيقة دينية في أغلبها قائمة على مبدأ الجهاد في سبيل العقيدة وفي سبيل شرف الأرض وعرض الأسرة . لم يكن الوعي الوطني منتشرا ومفهوما بالقدر الذي أصبح عليه في مرحلة تكون الأحزاب السياسية . غير أن جل الدراسات تؤكد أسبقية الوعي الوطني الريفي على الوعي الوطني الحضري أمثال 'محمد تيقيا' و 'محفوظ قداش' السابقين الذكر وهذا لعدم اهتمام الفئات البرجوازية في بداية الإحتلال بمقاومته .

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى وتغير موازين القوى الدولية وسقوط الإمبراطورية العثمانية وتقسمة تركتها بين الدول الأوروبية المتنافسة تبلور الفكر الوطني عن طريق احتكاك النخبة المثقفة بالتيارات الفكرية المنتشرة بأوروبا وبالنظريات السياسية وبالأفكار التحررية من الإقطاع والهيمنة الأجنبية . تشكلت النواة الأولى للأحزاب السياسية وتغيرت معها أشكال المقاومة وانتقل مركز الدفاع عن الوطن من الأوساط الريفية إلى المراكز الحضرية وتبنت النضال السياسي الفئات البرجوازية التي سلكت الطريق الإصلاحي المنادي بالمساواة تارة وبالإندماج تارة أخرى . كما ظهر أهم تيار بالهجرة نادى بالأسلوب الثوري وانتهى به الأمر إلى التفكك والإنقسام نتيجة صراع بين أشخاص اختلفت وجهات نظرهم العملية إزاء الحل الوطني لأزمة الإستعمار وتباينت أساليبهم العملية بسبب زعامات شكلية للعمل الثوري. فالمسألة بينهم كانت متعلقة بالإلتزام السياسي للشروع في العمل المسلح وقد حكم مختلف الباحثين على أن الأزمة كانت صراع بين جيلين : جيل تقليدي تكون بالهجرة في أوساط النقابات الثورية وجيل حديث سبقت الإشارة إليه في فصول البحث .

1- إن أهم ما سجل عن الحركة الوطنية الجزائرية بجميع اتجاهاتها وتياراتها السياسية أنها لم تكن ذات طابع شعبي جماهيري بل كانت تعبر عن اقتناعات فردية. فقد كانت بعبارة أوضح حركات سياسية فرديـــة. حركات أشخاص كل منهم يريد الزعامة والريادة وهذا ما عجل بإخفاقها إلى أن ظهرت جبهة التحرير الوطني كمنظمة سياسية عسكرية قادت الكفاح المسلح . فكانت تعبر إما عن نخب معينة لها خصائصها الإجتماعية والثقافية والإيديولوجية التي تميزها عن البقية كما هو الحال لدى الإندماجيين من الفئات البرجوازية العقارية أوالتجارية المناصرة لتيار الليبرالي والمهادنة للسلطة الإحتلالية والتي طالبت بإدخال إصلاحات سياسية اقتصادية واجتماعية ، وجمعية العلماء الإصلاحية ذات الثقافة العربية الإسلامية والتي تبنت الدفاع عن الدين واللغة ومقومات الشخصية الجزائرية أوحزب الشعب الجزائري الذي تزعمه " مصالى الحاج " الذى تسبب في فقدان سمعة الحزب وهيبته نتيجة تقديس الشخصية والتمسك بالحكم الفردي . فانهار حزبه كتيار ثوري نادى صراحة وعلانية بإستقلال الجزائر وجلاء الإحتلال دون مراوغة أومهادنة . إلا أن غرور هذا الرئيس أسقطه في الدائرة الإصلاحية في بداية الخمسينات وأعطى الفرصة لظهور قوة ثالثة محايدة قادت البلاد نحو النصر . جاءت في هذا البحث محاولة متواضعة لتفسير الأزمات التي عاشتها الحركة الوطنية بمقياس طبقي إلا أن صعوبة البرهنة عليها للتناقضات البنيوية الإجتماعية التي أحدثها الإستعمار حالت دون تحديد الطبيعة الإجتماعية للبنية الإجتماعية الجزائرية سواء قبل الإحتلال أوبعده . ثم أن العقبة الثقافية التي تقف أمامنا في تحديد البنية الإجتماعية بدقة عدم التصريح بها علانية في الخطاب السياسي أو مواثيق الثورة والدولة الرسمية . صحيح أن هناك اعترافات محتشمة بوجود صراع طبقي جنيني إلا اننا لايمكن أن نجزم بوجوده لعدم توفر شروط حضوره بالمجتمع الجزائري. غير ان الشيء المؤكد هو أن الصراع الطبقي الوحيد والمعلن عنه هو صراع الأهالي الأصليين مع الغزاة الأجانب المستوطنين وعليه نقول أن الجزائر عرفت منذ الإحتلال حتى استرجاع السيادة الوطنية طبقتين تعايشتا جنبا إلى جنب جمعت بينهما علاقات غير متكافئة علاقات هيمنة واستغلال إلى درجة الإستعباد .

2- ان أهم ما يسجل على الحركة الوطنية في الجزائر بكل اتجاهاتها أنها لم يكن لها الطابع التمثيلي لكل الجماهير الشعبية بل كانت عبارة عن تنظيمات سياسية نخبوية انطلقت في المطالبة ببعض الحقوق والواجبات التي تخدم مصالح اتباعها ولاتخدم المصلحة العامة الوطنية. وقد تميزت هذه التشكيلات السياسية بالصراع بين الأشخاص على الزعامة الشكلية للعمل السياسي .

3- إن البنية الإجتماعية للجزائر المستقلة تكونت بسبب الظروف الإستعمارية التي هدمت البنيات التقليدية وحاولت استبدالها بهياكل اجتماعية جديدة مغايرة لها . هذه المهاجمة لبنيات المجتمع التقليدي الجزائري ، انعكست سلبا على بعض المعتقدات الإيديولوجية التقليدية للمجتمع الجزائري كالتضامن والجهاد . ويعد هذا التغيير اهم عامل في اخفاق المقاومات الشعبية وحتى في فشل الكفاح السياسي للحركة الوطنية على النمط الغربي .

لايمكن الجزم بوجود طبقات اجتماعية متصارعة بالجزائر سواء قبل الإحتلال او بعده لعدم توفر شروط حضور الصراع الطبقي والذي عادة ما يوجد بالمجتمعات الرأسمالية التي تشهد طبقتين متناحرتين متباينتين ايديولوجيا ، اجتماعيا وثقافيا ، هم الرأسماليون أرباب العمل والبروليتاريا بائعة قوة عملها. في حالة الجزائر تواجد خلال الإحتلال الأجنبي طبقتان متنازعتان هما : الشعب الجزائري المستعمر والمستوطنون الأوربيون المهيمنون وكانت لهما مصالح متناقضة . هذا الحكم لاينفي وجود فئات اجتماعية مختلفة الإنتماء الحضاري (الثقافي) الإيديولوجي وفي المستوى الإجتماعي . وقد صرحت بذلك مواثيق الثورة الرسمية ولم تفسرهذه التباينات الإيديولوجية بمقياس صراع الطبقات .

4- أن الحرب التحريرية عجل بإنفجارها صراع الأشخاص (القادة) حول السلطة واكتساب الشرعية . وكانت النتيجة أن تشكلت تحالفات بين الأحزاب الوطنية الفاشلة والثورات الفلاحية الكامنة .

بعد دراسة متأنية لمواثيق الثورة نستنتج أن ايديولوجية جبهة التحرير الوطني ليست متجانسة كما تبدو بل هي انعكاس لمختلف الإتجاهات الإيديولوجية التي تعايشت داخلها منذ عام 1956 واستمر الصراع بينها لغاية احكام سيطرة الجيش على الدولة نهائيا على اثر انقلاب *19* جوان *1965.*

من خلال ما تقدم نستنتج أن حزب جبهة التحرير الوطني لم يحكم وانما كان عبارة عن جهاز سياسي شكلي قائم تمرر عبر قنواته المشاريع التي تخدم الإطارات السامية في الجيش والدولة وذلك لأن جبهة التحرير الوطني حينما انطلقت في عملها الثوري لم تحدد اطارا ايديولوجيا متكاملا بتوقع تصورات نظرية لحلول المشاكل المتوقعة بعد الإستقلال. فقد كانت الممارسة العملية اليومية هي التي تفرض الحلول والتي غالبا ما تكون ظرفية ومؤقتة وكثيرا ما تقتصر على المعالجة الأنية للمشكل المطروح الى جانب ظروف الكفاح المسلح التي لم تسمح -انذاك- بتطور هياكل جبهة التحرير الوطني بالقدر الذي تطورت به الثورة واتسعت دائرتها وتعاظمت مسؤولياتها . وقد أورد السيد "محمد الصالح يحياوي" مسؤول الأمانة التنفيذية المكلف بجهاز الحزب سابقا في كلمته الإفتتاحية للمؤتمر الرابع للحزب.أن هذه العوامل -السابقة الذكر- هي التي جعلت التناقضات تتراكم في مستوى القمة التي جمعت عددا من الإتجاهات المتعايشة لظرف معين حتى انتهاء قضية التحرير الوطني مع الإحتفاظ بإختلافاتها الإيديولوجية والتي كان ينبغي أن تتخذ في الحسبان فيما بعد التحرير .

أن جبهة التحرير الوطني بإعتبارها التنظيم السياسي العسكري الذي قاد ثورة التحرير جمعت في صفوفها القيادية كل المقتنعين بالكفاح المسلح. ولم يكن لهذا التنظيم قواعد انضباطية بل كان المرجع الأول هي البيانات العامة التي تتضمن بعض التفاصيل كبيان أول نوفمبر وبيانات مؤتمر الصومام وغيرها . ثم أن التعميم الذي طغى على هذه البيانات جعل مفهوم السلطة والمسؤولية أكثر غموضا ، وأن ممارسة المركزية الديمقراطية داخل جبهة التحرير الوطني لم تكن بالعملية السهلة بالنظر إلى أعباء مسؤولية الحرب القاسية التي تحملتها الجبهة وفقدت فيها أكفأ وأفضل مناضليها كالعربي بن مهيدي' وغيره . إلى جانب عملية الإنخراط في صفوف الجبهة التي لم تكن تخضع للإنتقاء والفرز. فقد كانت تنخرط ضمنها كل الفئات والعناصر المؤمنة بالثورة كوسيلة وحيدة لتحقيق الإستقلال وهذا ماجعل الإتجاهات الإيديولوجية المتضاربة خاصة المنافية للأسلوب الإشتراكي تتسبب في حدوث أزمة صيف 1962 التي كادت أن تعصف بالدولة وتلقي الشعب الجزائري في دوامة الحرب الأهلية . وبما أن الجبهة كانت في طور التأسيس وفي طور التحويل إلى حزب سياسي لم تكن بإستطاعتها ممارسة المراقبة والمحاسبة والحوار الديمقراطي البناء بل كانت هذه الأمور مختفية تماما .

قائمة المراجع المستعملة في البحث

أ- الكتب و المؤلفات باللغة العربية:

1) مصطفى الاشرف ' الجزائر الامة و المجتمع' الترجمة من الفرنسية للدكتور حنفي بن عيسى المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر- 1983-

(2) مغنية، الازرق ، 'نشوء الطبقات في الجزائر' دراسة في الاستعمار و التغيير الاجتماعي السياسي ترجمة سمير كرم مؤسسة الابحاث العربية -1980-

(3) امين سمير 'المغرب العربي الحديث' ترجمة كميل قيصر داغر دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر -1981-

(4) ابن العقون عبد الرحمان بن براهيم الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر' الجزء الاول (1920-1936) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر --1984-

(5) ابن خدة بن يوسف 'اتفاقيات ايفيان' تعريب لحسن زغدار و محل العين جبايلي ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر -1987-

(6) بالطابول و كلودين ريللو 'استراتيجية بومدين' تعريب الدكتور احمد خليل و الدكتور فؤاد شاهين الطبعة الاولى 1979 دار القدس -بيروت - لبنان

(7) الدكتورة بركات (درار) أنيسة 'ادب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال' المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984

(8) الدكتور بوحوش عمار 'تطور النظريات و الانظمة السياسية' الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ١٩٧٧

(9) الدكتور بوعزيز يحي ' مع التاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية' ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1991

(10) الدكتور بوعزيز يحي "ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20" الطبعة الاولى 1400هـ- 1980م
دار البحث للطباعة و النشر قسنطينة

(11) الدكتور بوعزيز يحي "الايديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية" من خلال ثلاثة وثائق
جزائرية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986

(12) الدكتوربو الشعيرسعيد "النظام السياسي الجزائري" الطبعة الثانية دار الهدى للطباعة
و النشر و التوزيع الجزائر 1993

(13) الدكتور حرب اسامة الغزالي "الاحزاب السياسية في العالم الثالث" سلسلة كتب ثقافية شهرية
يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب - الكويت- 1987

(14) حربي محمد الجزائر 1954-1962 "جبهة التحرير الوطني الاسطورة و الواقع"
ترجمة كميل قيصر داغر Edition J.A 1980

(15) الخطيب أحمد "حزب الشعب الجزائري" الجزء الاول المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر
1986

(16) الخولي لطفي "عن الثورة في الثورة و بالثورة" حوار مع بومدين من منشورات المجتمع الجزائري
البومديني الاسلامي قسنطينة غير مؤرخ

(17) رخيلة عامر "التطور السياسي و التنظيمي لحزب جبهة التحرير الوطني" رسالة ماجيستر مقدمة
لمعهد العلوم السياسية جامعة الجزائر

(18) الدكتور محمد العربي الزبيري "المؤامرة الكبرى او اجهاض ثورة" المؤسسة الجزائرية للطباعة
الجزائر 1989

(19) الدكتور الزبيري محمد العربي "الثورة الجزائرية في عامها الأول" الطبعة الاولى
دار البعث للنشر و الطباعة - قسنطينة غير مؤرخ

(20) العميد طلاس مصطفى و العقيد العسلي بسام "الثورة الجزائرية" 1984 م

(21)الدكتور صاري الجيلالي 'التقنيات الاجتماعية و الاقتصادية و المقاومة الثقافية' ترجمة الدكتورعبد القادر بن حراث المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1987

(22) الدكتور سعيدني ناصر الدين ' دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر' الفترة الحديثة و المعاصرة الجزء الثاني المؤسسة الوطنية للمتاب الجزائر 1988.

(23) سعد الله ابو قاسم 'الحركة الوطنية الجزائرية' 1900-1930 دار الاداب بيروت الطبعة الاولى 1969 أطروحة لنيل الدكتوراة في التاريخ

(24) شريط عبد الله 'مع الفكر السياسي و المجهود الايديولوجي في الجزائر ' المؤسسة الوطنية للكتاب لجزائر 1986

(25) عباس فرحات 'حزب الجزائر و ثورتها' نقله الى العربية ابو بكر رحال مطبعة فضالة -المحمدية- المغرب غير مؤرخ

(26) عباس فرحات، ' ليل الاستعمار' ترجمة ابي بكر رحال مطبعة المغرب غير مؤرخ

(27) الدكتور قداش محفوظ 'المقاومة السياسية 1900-1954' ترجمة الدكتورعبد القادر بن حراث المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر- 1987 -

(28) قنانش محمد و الدكتور قداش محفوظ ' حزب الشعب الجزائري ' 1937 -1939 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1985

(29) قنانش محمد 'الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين' 1919-1939 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1982

(30) المدني احمد توفيق 'حياة كفاح' مذكرات القسم الثاني في الجزائر 1925-1954 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع رقم النشر 77/687

(31) مهري عبد الحميد ' كيف تحررت الجزائر' وزارة الاعلام و الثقافة -الجزائر-1979

(32) ولد خليفة محمد العربي ' الثورة الجزائرية، معطيات و تحديات ' المؤسسة الوطنية للكتاب

ب - المجلات

حزب جبهة التحرير الوطني " المسيرة" مسيرة الشعب، عبر ملايين الشهداء مطبوعات قسم النشر و التوثيق

جـ- المواثيق الرسمية

- بيان أول نوفمبر 1954
- برنامج طرابلس 1962
- ميثاق الجزائر 1964

د- الخطب السياسية للعقيد هواري بومدين

قائمة المراجع باللغة الفرنسية

(1) ADDI HOUARI 'L'impase du populisme' L'Algerie collectivite politique et Etat en Construction (Entreprise Nationale du Livre - ALGER- 1990

(2) AGERON CHARLES ROBERT 'L'Histoire de l'Algerie contemporaine 1830-1976 Presse Universitaire de france - série que sais - je-1977

(3) BEDRANI Slimane 'L'Algerie de la légitimité Révolutionnaire à la légitimité Démocratique' Reflexion sur l'Etat Mai 1990

(4) CHIKHI SAID 'Institution sindicale et formation sociale en Algerie. D.E.S Sciences politiques Université d'Alger 1977.

(5) Claude CALLOT - Jean ROBERT HENRY 'Le Mouvement National Algerien' Textes 1912 - 1954 .
2e édition Office des Publications Universitaires -Alger- 1981

(6) EL KENZ Ali et son groupe ,' l'Algerie et la modernité '. Serie des livres de Codesria - Dakar - SENIGAL 1989.

(7) MERAD Ali 'Le réformisme musulman en Algerie de 1925 à 1940' essai d'Histoire Religieuse et sociale.
Mouton et cie la Haye 1967.

(8) MOKDAD Souad 'Dominination Coloniale et Rupture Nationaliste'
office de Publications Universitaires -Alger- 1984

(9) TEGUIA Mohamed 'L'Algerie en Guerre' Office des Publications Universitaires -Alger- 1988

(10) YOUSFI Mohamed' le pouvoir 1962 - 1978'
l'entreprise nationale d'édition et de publicité - Non daté -

(11) ZDRANKO Pecar ' Algerie Temoignage d'un ropoter yougoslave sur la gerre d'Algerie'.
l'entreprise national du livre.- l'Algerie - 1987.

ـ0ـ استـــدراك ـ0ـ

الخطـــــأ	الصـــواب
الصفحة 12 ـ السطر 2و 3 . يعاملونهم به الاوروبيـــون .	يعاملهـــم بـــه الاوروبيـــــون
الصفحة 26 ـ السطر 7 . تحـــولت	تحـــــولت
الصفحة 26 ـ السطر 17 . دعـــى	دعـــــــا .
الصفحة 38 ـ السطر 4 . ظهر اذن اتجاهين	ظهر اذن اتجاهان .
الصفحة 42 ـ السطر 17 .وهذين القسمين يقعـــان .	وهذان القسمان يقعـــــان
الصفحة 53 ـ السطر 1 .أغلبيـــة أعضاء .	اغلبيـــة أعضـــائـــــه
الصفحة 54 ـ السطر 16نشأء بســـــب	نشـــا ء بسبـــب
الصفحة 54 ـ السطر 17 اغلبية اعضاء ها .	أغلبية أعضـــائـــــها
الصفحة 58 ـ السطر ثم ان الجبهة لم تدعـــو	ثم ان الجبهة لم تـــدع
الصفحة 56 ـ السطر 1 . باختلاف منطلاقاتها	باختلاف منطلقاتـــها .
الصفحة 57 ـ السطر 19 . ممثلي الامة الحقيقيين الـــــذيـــن	ممثلـــي الامة الحقيقيين الذيـــــن
الصفحة 73 . السطر 1 . اعتمد الجزائريين	اعتمـــد الجزائريـــــون
الصفحة 72 . السطـــر 22 بابنـــاء ها	بابنـــــائـــــها
الصفحة 79 . السطـــر 24 . كان لها تاثيرين مختلفين	كان لها تأثيران مختلفـــــان
الصفحة 80 . السطر 2 خاصة الفقراء مهم حرموا منـــهم	خاصة الفقراء قـــد حرموا منهم
الصفحة 94 . السطـــر 2 . معزولا .	معـــــزول
الصفحة 94 . السطر 4 . اذا كان التصورين متكونيـــــن	اذا كان التصوران المتكونـــان
الصفحة 97 .السطر 3 . فهذين المسؤوليـــن دعيـــا .	فهذان المسؤولان دعـــــيا
الصفحة 101 .السطر 10 . يعلنا عدائـــه	معلنـــا عـــداء .
الصفحة 102 .السطر 2 . واعطاء السلطة	وأعطـــائـــه السلطـــــة
الصفحة 102 . السطر 18 . الا ان الذين كان لهم نفـــوذا	كان لهم نفوذ
الصفحة 103 . السطر 21 كل.هؤلاء الاخوان .... وسؤولين .	ومسؤولـــــون .